الحسن بن أحمد الهمداني

وكتابه الإكليل

- ١ -

الدكتور : إحسان النص

المؤلف

أ) عصره وبيئته

عاش المؤلف في بلاد اليمن متنقلاً مابين صنعاء وريدة وصعدة، وجاب أكثر بلاد العرب وجاور بمكة ودخل بغداد، وكان قومه يقطنون في بادئ الأمر في «المراشي» ثم استقر جده في صنعاء.

وعصر الهمداني هو القرنان الثالث والرابع الهجريان، وهو عصر ازدهار الحضارة العربية في المشرق والمغرب، ففيه ترجمت الكتب العلمية والفلسفية، وظهر العلماء الكبار والشعراء المبرّزون، وقد أفاد الهمداني من ازدهار العلوم في عصره فوقف على علوم الهندسة والفلك والطب وغيرها، وكذلك ظهرت في عصره أكثر الفرق الدينية والمذاهب الإسلامية وكان لها صداها في بلاد اليمن.

وكانت البيئة التي عاش فيها مسرحاً للنزاعات القبلية والسياسية والصراع المذهبي والعقدي، فكانت اليمن من المواطن التي نشطت فيها الدعوة الإسماعيلية وحركات القرامطة، وقامت فيها الإمامة العلوية الزيدية على يد يحيى بن الحسين العلوي وولديه محمد المرتضى وأحمد الناصر، وكان لها سلطانها البعيد في بلاد اليمن.

وفي هذه البيئة كذلك نشب الصراع بين زعماء القبائل اليمنية، وبينهم وبين ملوك حمير والأئمة العلويين، كل يحاول بسط سلطانه على ما حوله. وفي كتاب الإكليل صور من هذا الصراع، وقد نال الهمداني طرف منه وكانت له مشاركة في جانب منه.

ب) حياته

مؤلف الكتاب هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ابن داود بن سليمان ذي الدمنة، وينتهي نسبه إلى دومان بن بكيل من قبيلة همدان، وقد لُقب بابن الحائك، وأطلق على نفسه لقب «لسان اليمن».

وقبيلة المؤلف همدان من أضخم القبائل القحطانية اليمنية، وجذم قحطان يتفرع إلى فرعين كبيرين هما: كهلان وحمير، ومن كهلان تتفرع قبائل كثيرة أشهرها: هَمْدان، والأزد، وأنمار، وطيّء، ومَذْحِج، ولَخْم، وجُذام، وكِندة. وتتفرع همدان بدورها إلى فرعين كبيرين هما: حاشد وبَكيل. وما زالت لقبيلة همدان كثرة عددية في اليمن في أيامنا هذه، وكان لها شأن كبير قبل الإسلام وبعده. وقد هاجرت طوائف منها بعد الإسلام إلى العراق واستقرت في الكوفة، وكانت من أنصار علي بن أبي طالب وقاتلت معه في وقعة صفين وأصيب منها خلق كثير وحالفها الأشتر على الثبات حتى الموت[١].

ولما استقرّ الأمر لمعاوية أصبح ولاؤها لبني أمية وكان لها دور في القبض على حجر بن عديّ، رجل الشيعة الذي قتله معاوية[٢]. وكانت همدان تؤلف في بادئ الأمر أحد أسباع الكوفة، تشاركها فيه مذحج

(١) تاريخ الطبري ٥/٢٠.

(٢) انظر تفصيل الخبر في الطبري ٥/٢٦١.

وحمير[٣]، ولَما ولّي زياد بن أبي سفيان الكوفة سنة خمسين للهجرة لم يرض عن التوزيع القبلي في أسباع الكوفة والذي روعي فيه جمع القبائل المتقاربة في نسبها في كل سبع، فعدّل الأسباع وجعلها أرباعاً، قاصداً من ذلك جمع قبائل متباعدة في أنسابها في كل ربع،إطفاء لنار العصبية القبلية، فجمع لذلك بين همدان وتميم في ربع واحد[٤]. وقد ظلّ لقبيلة همدان الكثرة العددية في قبائل الكوفة حتى نهاية العصر الأموي[٥].

أما اليمن فقد استقر فيها من بطون همدان من لم ينزح إلى العراق، والهمداني يذكر لنا في كتاب الإكليل أسماء بطون همدان التي هاجرت إلى الكوفة.

وقد لُقّب المؤلف بابن الحائك، وعلّل القفطي إطلاق هذا اللقب عليه فقال:

«فأما تلقيبه بابن الحائك، فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أصله حائك، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر، وكان جدّه سليمان ابن عمرو المعروف بذي الدُمينة (أو ذي الدمنة) شاعراً، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر»[٦].

ولد الهمداني سنه ٢٨٠هـ[٧] في صنعاء ونشأ بها. وكان أجداد المؤلف يقطنون من قبل موضع المراشي، وهو الوادي الثالث من أودية الجوف

(٣) الطبري ٤/ ٤٨.

(٤) الطبري ٥/ ٣٦٩، ٥/ ٤٢٢.

(٥) الطبري ٤/ ١١.

(٦) إنباه الرواة للقفطي ١/ ٢٧٩.

(٧) استخرج الأستاذ محمد بن علي الأكوع محقق الجزأين الأول والثاني من الإكليل ما يدل على تاريخ ولادة الهمداني من المقالة العاشرة من كتاب سرائر الحكمة للهمداني.

الكبرى في بلاد اليمن، وموطن قبيلة بكيل. ثم انتقل أحد أجداد المؤلف وهو داود بن سليمان بن ذي الدمينة هو وقومه إلى الرحبة من أعمال صنعاء، مخالطين بلحارث، ثم انتقل في أواخر أيامه، هو وابنه يوسف، إلى صنعاء فاستقر بها هو وأولاده، ويذكر الهمداني أن قومه هؤلاء، كان لهم بصر بالإبل لم يكن لأحد من العرب(٨).

ومن أخبار أسرته التي يرويها المؤلف أنه كان لأبيه ولدان: الحسن، وهو المؤلف، وأخوه إبراهيم. وزوجة المؤلف قريبته فاطمة بنت محمد بن إبراهيم، وكان للهمداني ولد اسمه مالك توفي في حياة أبيه فرثاه بعدد من القصائد (٩). وكان له ولد آخر اسمه محمد، وهو الذي شرح قصيدة أبيه الدامغة، وبه كان الهمداني يكنى. وقد عني المؤلف بذكر نسب عشيرته بني أدهم بن قيس بن ربيعة ... بن بكيل مفصّلاً حتى زمانه، في الجزء العاشر من الإكليل(١٠).

ولما شبّ الهمداني انصرف إلى تلقي ألوان المعارف عن جماعة من الشيوخ في التاريخ والجغرافية وعلم النسب والعربية وعلم الفلك وغيرها من العلوم.

لا نملك أخباراً وافية عن حياة الهمداني وما مرّ به من أحداث، وكل مالدينا من أخباره مستخلص من مؤلفاته، ومن كتاب الإكليل خاصة.

ومما يستخلص من مؤلفاته أنه قام برحلات وجولات في شتى بقاع بلاد العرب، واليمن خاصة، فقد دخل حضرموت وأخذ عن علمائها وطاف

---

(٨) الإكليل ١٠/١٩٩.
(٩) الإكليل ١٠/ ١٩٨.
(١٠) انظر الإكليل ١٠/ ١٩٢ وما بعدها.

بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن شيوخها وأخذ الناس عنه، وسار إلى العراق واتصل بعلمائها. وقد أفادته هذه الرحلات في تنمية معارفه اللغوية والأدبية والعلمية والتاريخية والجغرافية. ويذكر الخزرجي(١١) أن الهمداني كان واسع الاطلاع على علوم العرب من نحو ولغة وأدب وشعر وأيام وأنساب، وكذلك كان واقفاً على علوم العجم مثل علم النجوم والهندسة والفلك(١٢). وهذا ينبئنا أن الهمداني تلقى معارفه عن شيوخ كثيرين في شتى ألوان المعرفة، ولكننا لا نعرف أسماء هؤلاء الشيوخ فلم يتحدث عنهم، كما أن من ترجموا له لم يذكروا أسماء شيوخه، وفي كتبه إشارات إلى من اتصل بهم من العلماء وأخذ عنهم ولا سيما في الأنساب، وسوف نعرض لمن أخذ عنهم في الأنساب في حديثنا عن كتاب الإكليل.

ومما عرفناه عن طبيعته وميوله أنه كان شديد التعصب للقحطانية، وقد جرَ عليه هذا التعصب خصومة العدنانيين والمتعصبين لهم، وقد نسبوا إليه أنه عرّض بشخص الرسول ﷺ بسبب هذه العصبية، وهي تهمة باطلة نتحدث عنها بعد قليل، وبدافع هذه العصبية قال قصيدته الدامغة التي عارض بها قصيدة الكميت في الفخر بالنزارية.

لم يستقر الهمداني في بلدة واحدة من بلاد اليمن، فقد نشأ في صنعاء ثم أقام مدة من الزمن بمدينة رَيدة، وقد ذكر ياقوت أنها على مسيرة يوم من

---

(١١) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢ هـ)، من أعلام المؤرخين اليمنيين. من كتبه: «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن»، و «العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية» مطبوع في جزأين، و «العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن» و«العسجد المسبوك في تاريخ الإسلام وطبقات الملوك». وله ديوان شعر.

(١٢) بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٩٨.

صنعاء ذات عيون وكروم(١٣). ووصفها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» بقوله: «ثم من بعد صنعاء من قرى همدان في نجدها بلدة ريدة، وبها البئر المعطلة والقصر المشيد وهو تُلقم، ويسكنها اللعويون.»(١٤)، وكانت ريدة موطن قبيلة حاشد الهمدانية، أخت بكيل.

استقر الهمداني في ريدة بلدة قومه همدان، وكان على مودّة قوية بسلطانها أبي جعفر أحمد بن محمد الضحّاك، سيّد همدان في زمنه. ويحدثنا الهمداني عن ابن الضحّاك في سياقة نسب همدان فيقول: «فأولد الضحّاك محمداً، فأولد محمد بن الضحاك أحمد أبا جعفر سيد همدان في عصرنا وصاحب الوقائع والأيام، وهو الذي يمدحه الهمداني ويقيّد أيامه، وهو منه خِلّ وصاحب، وشهد مئة وقعة ونيّفاً كان أكثرها بين حزبه وبين يحيى بن الحسين العلوي، وأسر ابنه محمد بن يحيى يوم إتوة، ثم صافاه ابنا يحيى: محمد المرتضى وأحمد الناصر، وكان لهما نعم الصاحب والوزير على أمورهما، ثم باعده القاسم بن الناصر، فجرى بينهما ما ينطق به شعر الهمداني، ودخل صعدة ثلاث مرات فأخربها، ودخل صنعاء كرّتين فأحسن فيهما»(١٥).

ومن هذا نستخلص أن الصلات بين الهمدانيين وأسرة الإمام العلوي بصعدة لم تكن دائماً صلات مودّة وصداقة، ولم يكن للإمام العلوي سلطان على سيد همدان.

ولسبب لا نعرفه غادر الهمداني ريدة وأقام بمدينة صعدة، وفيها قبيلة خولان، فأقام بها عشرين سنة. ويصفها ياقوت بقوله: «صعدة مدينة عامرة

آهلة يقصدها التجار من كل بلد، وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال، وهي خصبة كثيرة الخير» (١٦)، ووصفها الهمداني في صفة جزيرة العرب بقوله: «ثم من هذه السَّراة في بلد خولان بن عمرو بن ألحاف مدينة صعدة، وكانت تسمى في الجاهلية جماع، وهي كورة بلاد خولان وموضع الدباغ.» (١٧)، ومدينة صعدة من مدن اليمن المعروفة اليوم، وهي إلى الشمال من صنعاء، تبعد عنها تسعون ميلاً، على مقربة من حدود المملكة العربية السعودية، وقد وصفها الأستاذ الأكوع وصفاً مفصلاً في هامش الإكليل (١٨).

غادر الهمداني إذن ريدة موطن قبيلة همدان إلى صعدة موطن قبيلة خولان، وخولان هذه ليست خولان المعروفة بفَكْل والتي تنتمي إلى مُرّة بن أُدد بن عَريب بن كهلان، وإنما هي قبيلة أخرى تنتمي إلى جذم قضاعة بن حمير. فتلك كهلانية وهذه حميرية ونسبها: خولان بن عمرو بن ألحاف بن قضاعة. وهذه القبيلة لم يذكر ابن الكلبي نسبها في كتابه: نسب معدّ واليمن الكبير، وتابعه في هذا الإغفال النسابون بعده، ومنهم ابن حزم في جمهرة أنساب العرب، وخولان هذه استقرّت في بلاد اليمن ولم تنزح إلى بلاد الشام، شأن إخوتها القبائل القضاعية، فخفي أمرها على النسّابين. ويعلّل الهمداني سبب إهمال النسّابين غير اليمنيين إياها بقوله: «ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء» (١٩).

---

(١٦) معجم البلدان. مادة صعدة ٣/ ٤٠٦.

(١٧) صفة جزيرة العرب ص ٦٦.

(١٨) انظر الإكليل ١/ ٨٩. في الهامش.

(١٩) الإكليل ١/ ٢٧٥.

استقرّ الهمداني في صعدة، وحاطته قبيلة خولان برعايتها، وقرّبه رؤساؤها، وأغدقوا عليه الصلات، فأنشأ القصائد الغُرّ في مديحهم، وطاب له المقام فيها فأقام فيها عشرين سنة ـ حسبما يذكر ـ وهذه الإقامة الطويلة جعلته يقف على أنساب خولان على نحو وافٍ نجد صداه في كتاب الإكليل، فقد وقف وقفة طويلة عند نسب خولان وفصّله غاية التفصيل في حين أنه أجمل القول في سائر قبائل قضاعة لشهرتها. ويقول في ذلك: «فسكنت بها عشرين سنة، فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية»[٢٠].

على أن إقامته بصعدة لم تخل مما يعكّرها، فقد أثارت الشهرة التي نالها والمنزلة التي حظي بها لدى رؤساء خولان حسد شعراء صعدة، فأخذوا يدسّون له الدسائس، وكانت صعدة مقرّ الإمام العلوي الزيدي الناصر لدين الله أحمد بن يحيى (ت ٣٢٥ هـ)، فنميت إليه أمور جعلته يأمر بسجن الهمداني. والمصادر التي تحدثت عن سجنه لم تأت بسبب مقنع لذلك، جاء في بعضها أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظم الله، وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله»[٢١]. ونحن نستبعد أن يقدم الهمداني على التعرّض لمكانة الرسول ﷺ فلم تكن عصبيته للقحطانية لتبلغ به هذا المبلغ، ونرجح أن خصومه من شعراء صعدة هم الذين عزوا إليه هذا الأمر، ومن المحتمل أنهم أضافوا إلى قصيدته التي يفخر فيها بقحطان أبياتاً تمسّ النبي ﷺ، ولو صحّ أنه قال هذا

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) الإكليل ١ / ٦٢.

الشعر لانفضّت عنه قبيلة خولان ولما انتصرت له. والرواية الأدنى إلى الصحة هي التي تذهب إلى أن هجاء وقع بينه وبين شعراء صعدة فدسوا له عند الناصر العلوي، فأمر بسجنه. وهذا الخبر مرويّ في صورة أخرى، فقد ذكروا أن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء صعدة، فدسوا له عند الناصر، فكتب إلى أسعد بن أبي يُعفر بصنعاء، فأمر بسجنه. وهذا الخبر مستبعد في صورته هذه لأن المهاجاة إنما وقعت أيام كان الهمداني بصعدة . وراوي الخبر الأول هو محمد بن الحسن الكَلاعي (ت ٤٠٤ هـ)، وقد نقله عنه عليّ بن الحسن الخزرجي في كتابه «طراز أعلام الزمن في تراجم أعلام اليمن»[٢٢]. والذي يحملنا على الشك في صحة هذا الخبر ما جاء فيه من أن شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني هجوا قومه قحطان ليثيروه، وصعدة كانت موطن قبيلة خولان، وهي قحطانية، فلا يعقل أن يهجوا قحطان لإغاظة الهمداني. ولا يبعد، في نظرنا، أن يكون الإمام العلوي قد غاظه تعريض الهمداني بعدنان، وهم قوم الإمام الناصر، فاستجاب لدسيسة شعراء صعدة وأمر بسجنه .

وأيا كان سبب سجن الهمداني فإن قبيلة خولان التي كانت تحوطه برعايتها غضبت لسجنه وطلبت إلى الناصر العلوي أن يطلق سراحه. وقد حدثّنا الهمداني عن قيام قبيلة خولان بنصرته، يرأسها سيد أكيل يحيى بن عبد الله بن زكريا الخولاني في سياقة نسب سعد بن خولان فقال: «فأولد عبد الله يحيى بن عبد الله، سيد أكيل ... وهو أحد من قام بفك الهمداني من سجن العلوي بصعدة وأوجب فيه، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها»[٢٣].

(٢٢) انظر: مقدمة محقق كتاب الإكليل في الجزء الأول منه ص ١٧.

(٢٣) الإكليل ٣١٢/١.

وقد قال الهمداني قصائد في مدحه لموقفه النبيل منه، ومن ذلك قوله من قصيدة:

بل ساد كهلان بل سبا بني — يشجب ما استجمعت عمائرها
تعجز سادتها عن كل مأثرة — فيه وفي كفه مآثرها
أحرزها دونهم وليس لهم — صالحة دولةٌ يغادرها[٢٤]

ومناصرة قبيلة خولان للهمداني تعللها مدائحه لرؤسائها والرجال البارزين فيها.

اضطرّ الناصر إلى إطلاق سراح الهمداني، إرضاء لقبيلة خولان. على أن الهمداني آثر بعد ذلك مغادرة صعدة والعودة إلى بلد المولد والنشأة صنعاء للإقامة فيها. ولا نعرف على وجه التحقيق تاريخ انتقاله إليها ولكننا نقدّر أن ذلك كان بعد سنة ثلاثمئة، لأن مولده كان سنة ثمانين ومئتين. وقد أقام عشرين سنة في صعدة تضاف إليها المدة التي قضاها في صنعاء وريدة.

أما سبب انتقاله إلى صنعاء فيفسره في ظننا فساد صلته بالإمام العلوي وبشعراء صعدة وسجنه، فعاد إلى صنعاء وفيها طوائف من قبيلة همدان.

بيد أن إقامته بصنعاء لم تكن على ما يرجو من الاطمئنان والدعة، لأنه تعرّض للسجن مرّة ثانية بسبب نزوعه إلى هجاء من يسيء إليه. فقد حمله حقده على الإمام العلوي الناصر أحمد، لسجنه في صعدة، على هجائه بشعره، فلما بلغ هجاؤه الناصر أوعز إلى ملك حمير أبي حسّان أسعد بن أبي يُعفر الحِوالي أن يسجنه، فأوعز أسعد إلى ابن أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء

(٢٤) كذا وردت هذه الأبيات في المطبوعة من الإكليل ١/ ٣١٣ والبيتان الأولان منها فيهما خلل عروضي فهما غير مستقيمي الوزن.

فسجنه، وقد وجد الأستاذ الأكوع خبر سجنه هذا في كتاب عن تاريخ اليمن مجهول المؤلف، وجده في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا، وهذا نصه: «لمّا بلغ الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الهادي عليه السلام أن الحسن بن يعقوب - أي الهمداني - تنقّصه في بعض أشعاره وثلبه، وكان مقيماً بصنعاء، فكتب الناصر إلى أسعد بن أبي يُعفر يعرفّه بما بلغه من ثلب الحسن ابن يعقوب له، فورد كتاب الأمير أسعد إلى أبي الفتوح الخطاب ابن أخيه عبد الرحمن بن أبي يعفر وهو أمير بصنعاء، يأمره فيه أن يأمر بحبس الحسن ابن يعقوب وتحديده (أي تكبيله بالحديد)، فحُدِّد وضُمِّن الحبس، فأقام فيه وهو يوجّه الأشعار إلى قبائل العرب من ولد قحطان يتذرّع بهم إلى الناصر وإلى الأمير أسعد. فمن خاطب الناصر فيه قال: هو في سجن أسعد، ومن خاطب أسعد قال: هو في سجن الناصر»[٢٥].

وقد استبعد الأستاذ الأكوع أن يقدم الهمداني على الهجاء لسمو نفسه ونبل خلقه، ورجح مارواه محمد بن الحسن الكلاعي وهو أن شعراء صعدة هم الذين أوغروا عليه صدر الناصر بزعمهم أنه هجاه، فعلوا ذلك انتقاماً منه لهجائه إياهم، ومن المحتمل أنهم افتعلوا أبياتاً على لسان الهمداني في هجاء الناصر.

ونحن لا نوافق الأستاذ المحقق فيما ذهب إليه، فالهمداني كان معروفاً بحدة الطبع ونزوعه إلى هجاء خصومه، وقد هجا شعراء صعدة وهاجوه، ثم هجا بعد خروجه من سجنه بصنعاء أسعد بن أبي يعفر بقصيدة الجار الدامغة. ونرجّح أن ما وقع بين الهمداني وشعراء صعدة إنما كان قبل مقدمه إلى صنعاء، أما سجنه في صنعاء فكان بسبب هجائه الناصر، وفق ما جاء في

(٢٥) مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص ١٦.

الخبر المنقول من كتاب تاريخ اليمن.

أثار سجن الهمداني بصنعاء ثائرة رؤساء خولان وأصدقائه من أمراء اليمن، وكانت خولان قد ملكت عليها قبلُ يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الملقب بالهادي»[٢٦]. ثم انقادوا بعده إلى ولديه محمد بن يحيى والناصر أحمد. فلمّا أمر الناصر بسجن الهمداني في صنعاء قدموا على الناصر أحمد »[٢٧]وطلبوا إطلاق سراح الهمداني. ويحدثنا الهمداني عن هذا اللقاء في الجزء الأول من الإكليل فيقول: «فطلبوا فيه، فأعلمهم أنه لم يسجنه وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه، فركب منهم الحسن بن محمد ابن أبي العبّاس إلى أبي حسّان طالباً فيه، فاعتذر وقال: إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له، فهو في سجنه عندي، فاطلبوا إليه، فإذا أنعم، فيكتب إليّ حتى أطلقه. فانصرف، وعاود جماعة العشّيّين[٢٨] الناصر في الطلب، وأعلموه بما قال أسعد، فأبعدهم وأغلظ لهم. فأغلظوا له وتباعد أمرهم وأظهروا له الخلاف، وقاد الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتلوه بمصنعة كتفَى، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني (أي أطلقه)، فرضي وصرف تلك الجموع، ووادعه، حتى صحّ له

---

(٢٦) الإمام الهادي يحيى بن الحسين ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب، وهو أول من أسس الإمامة الزيدية باليمن. فحين وقعت الحرب بين بطون خولان ولا سيما بين سعد بن سعد والربيعة بن سعد وانتقض أمر الدولة الحِوالية قام وفد منهم باستدعاء يحيى بن الحسين من المدينة المنورة سنة ٢٨٣ هـ، فقدم إلى صعدة وحسم الخلاف بين بطون خولان واتخذ مدينة صعدة حاضرة له، فاستجاب لدعوته بعض أهل اليمن وخالفه آخرون فوقعت بين الفريقين حروب متصلة، ودخل صنعاء ثلاث مرات، توفي سنة ٢٩٨ هـ. وقد خلفه ابناه وتوالى الأئمة الزيديون من بعدهم، وابنه الناصر هو الذي سجن الهمداني.

(٢٧) الإكليل ١/ ٤٢٥.

(٢٨) العشّيّون: بطن من خولان كان يقطن موضع العشة فنسبوا إليها.

أن إطلاق الهمداني كان من جهة ابن زياد صاحب زَبيد...»[٢٩].

لبث الهمداني في سجن أسعد ست سنوات، من سنة خمس عشرة وثلاثمئة حتى سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة»[٣٠]، وقد انتقم بعد خروجه من سجنه من أسعد بن أبي يعفر بأن نظم قصيدة طويلة في هجائه سمّاها «قصيدة الجار»، وقد أثبتها الأستاذ الأكوع في الجزء الأول من الإكليل»[٣١]، وأولّها:

خليليَّ إني مُخبر فتخبّرا بذِلّة كهلان وحيرة حميرا

ج) وفاته

لا نعرف سنة وفاة الهمداني ولا مكانها، والأخبار متناقضة حول هذين الأمرين، وتجعل إحدى الروايات وفاته في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة[٣٢]، فقد أورد القاضي صاعد في طبقات الأمم ما نصه: «وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة». وتابعت طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين صاعداً فيما ذكره. بيد أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر فقال: «وسار في آخر زمانه إلى ريدة من البون الأسفل من أرض همدان، وبها قبره وبقية أهله»[٣٣].

---

(٢٩) الإكليل ١/٤٢٦.

(٣٠) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص ١٧.

(٣١) الإكليل ص ٦٣.

(٣٢) طبقات الأمم ص ١٥٩ إنباه الرواة للقفطي ١/ ٢٨٤.

(٣٣) إنباه الرواة ١/ ٢٨٤.

أمّا أنه توفي في سجن أسعد بصنعاء فهذا الخبر لا يصح لأسباب: أولها أن خبر صاعد يعين زمن وفاته بسنة أربع وثلاثين وثلاثمئة، في حين أن الهمداني بقي في سجنه حتى سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة على ما قدمنا.

الثاني: ما ذكره القفطي من أنه سار في أواخر حياته إلى ريدة وتوفي بها، فهو إذن لم يمت في السجن.

الثالث: أننا أوردنا خبر إطلاقه من السجن إرضاء لوجوه خولان أو بوساطة ابن زياد صاحب زَبِيد.

الرابع: ثمة أخبار في كتاب الإكليل تدلّ على أن الهمداني عاش إلى مابعد السنة التي ذكرها صاعد ومنها: أن الهمداني أورد في الإكليل خبر وفاة أبي حسان أسعد بن أبي يعفر، وهو الذي سجنه، فذكر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة»[٣٤]. وعلّق المحقق في الحاشية على خبر وفاته ـ ولم يذكر المصدر الذي استقى منه الخبر ـ فذكر أنه لما مات أسعد أخفي خبر موته وجعل في تابوت عليه الحنوط والغالية حتى كانت سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة، فأذيع خبر موته وأقيمت له جنازة حافلة شارك فيها الهمداني، وقال في تلك المناسبة أبياتاً في رثاء أسعد منها:

هذا أبو حسّان في نعشه قوموا انظروا كيف تسير الجبال»[٣٥]

فهذا الخبر يدل على أنه عاش إلى ما بعد سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة.

ومنها ما أورده الهمداني في الإكليل في سياقة نسب محمد بن عبد الله الأوساني ونصّه: «قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي: رويت عن محمد هذا ـ أي الأوساني ـ سنة ست وخمسين وثلاثمئة، وهو من عمره

(٣٤) الإكليل ١/٤٢٦.

(٣٥) الإكليل ٢/ ١٨٤.

في ثمانين، وكتبت عنه، وقتل في سنة ستين وثلاثمئة، رحمه الله»[٣٦]، فإيراد هذا الخبر في كتاب الهمداني يدل على أنه عاش حتى سنة ٣٦٠ هـ على الأقل.

د) مكانته

حظي الهمداني بمكانة رفيعة في زمنه وبعده أهلّته لها معارفه الجمّة المتنوعة. فقد كان مؤرخاً ولغوياً ونحوياً وشاعراً ونسّابة وقارئاً للمساند الحميرية وعالماً بالفلك والهندسة. وقد وجدنا رجالات عصره يحرصون على تقريبه وتكريمه ورفع منزلته.

من هؤلاء أبو جعفر أحمد بن محمد بن الضحاك الهمداني، ومحمد بن الحسن بن أبي العباس الخولاني، وإسماعيل بن إبراهيم النبعي الحميري، وابن الروبّة المرادي[٣٧]، وابن زياد صاحب زَبيد. وقد فصّل القفطي (ت ٦٢٦ هـ) القول في المنزلة الرفيعة التي تبوأها فقال: «كان رجلاً محسداً في أهل بلده، وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم. فمن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، وكان يختلف بين صنعاء وبغداد، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية وأشعار العرب وأيامها، وكذلك أبوه القاسم ... وكان يكاتب أبا عمر النحوي صاحب ثعلب، وأبا عبد الله الحسين بن خالويه»[٣٨].

وكان القفطي شديد الإعجاب بالهمداني، كثير الثناء عليه، ومما قاله فيه: «نادرة زمانه، وفاضل أوانه، الكبير القدر، الرفيع الذكر، صاحب

(٣٦) الإكليل ٢/ ٢٣٢.
(٣٧) إنباه الرواة ١/ ٢٨١.
(٣٨) إنباه الرواة ١/ ٢٨٠.

الكتب الجليلة، والمؤلفات الجميلة، لو قال قائل إنه لم تخرج اليمن مثله لم يزلّ، لأن المنجّم من أهلها لاحظّ له في الطب، والطبيب لا يد له في الفقه، والفقيه لا يدَ له في علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها، وهو قد جمع هذه الأنواع كلها وزاد عليها»(٣٩).

وأثنى عليه كذلك علي بن الحسن الخزرجي المؤرّخ (ت ٨١٢ هـ) بقوله: «هو الأوحد في عصره، الفاضل على من سبقه، المبرز على من لحقه، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً، ولساناً وشعراً، ورواية وفكراً، وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك»(٤٠).

وينوّه القاضي صاعد بالهمداني في أنه من العرب القلائل الذين اشتهروا بالفلسفة(٤١).

هـ) مؤلفاته

إن الثقافة الواسعة المتنوعة التي تزودّ بها الهمداني أهلّته لتأليف كتب في شتى ألوان المعرفة، ولكن المؤلفات التي ذكرت له لا تشمل كل هذه المعارف، فلم تذكر له كتب في اللغة والنحو، ومن المؤسف أن أكثر مؤلفاته لم تصل إلينا، ومن هذه الكتب المؤلفات الآتية، وقد اعتمدنا في بيانها على ما أورده القفطي في إنباه الرواة وعلى ما ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون:

(٣٩) إنباه الرواة ١/٢٧٩.

(٤٠) بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٤٩٨.

(٤١) طبقات الأمم لصاعد ص ١٢١.

١ ـ كتاب القوى، وهو في الطب.

٢ـ كتاب اليعسوب، في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وما قيل فيه من الشعر. والقفطي يثني على هذا الكتاب ويذكر أنه مفيد للمتأدبين. وقد ألف الهمداني هذا الكتاب قبل كتاب الإكليل لأنه يذكره ويحيل عليه مرات متعددة في الإكليل في سياق حديثه عن فرسان العرب ورماتهم ومن اشتهر منهم بالقنص(٤٢).

٣ ـ كتاب المسالك والممالك باليمن، وقد ذكر القفطي أن في حوزته نسخة منه.

٤ ـ كتاب الجواهر العتيقة.

٥ ـ كتاب أيام العرب.

٦ ـ كتاب الطالع والمطارح وزيجه الموضوع.

٧ ـ كتاب الحيوان.

٨ ـ ديوان شعره: ويذكر القفطي أن الحسين بن خالويه الهمذاني لما دخل إلى اليمن جمع ديوان الهمداني وأعربه، وأن هذا الديوان موجود بهذا الشرح والإعراب عند علماء اليمن، وهم به بخلاء. ثم ذكر مايتضمنه شعره فقال: «وشعره يشتمل في الأكثر على المقاصد الحسنة، والمعاني الجزلة الألفاظ، والتشبيهات المصيبة الأغراض، والنعوت اللاصقة بالأعراض، والتحريض المحرّك للهمم المِراض، والأمثال المضروبة، والإشارات المحجوبة، والتصرّف في الفنون العجيبة»(٤٣). ونقل السيوطي عن الخزرجي أن ديوانه

---

(٤٢) انظر مثلا: الجزء العاشر ص ٨٨، ١١٧، ١٤١.

(٤٣) إنباه الرواة ١/٢٨٤.

يقع في ست مجلدات(٤٤).

ويعود فقدان كتب الهمداني إلى أسباب. منها: عصبيته الغالية للقحطانية التي حملت النزارية ومن يتعصبون لهم على إعدام كتبه وشعره. ومنها إقامته باليمن البعيدة عن حاضرة الخلافة، وهذا الأمر يفسر فقدان كثير من المؤلفات اليمنية. ومن هذه الأسباب كذلك ضنّ علماء اليمن بما عندهم من مصنفات رجالهم، على نحو ماذكره القفطي بشأن ديوان شعره. ولا ينبغي أن نغالي فيما ذكره القفطي حول إعدام كتبه، والأستاذ حمد الجاسر يستبعد هذا الأمر ودليله أن الجزء الثالث الذي أظهر فيه عصبيته القحطانية وصل إلى الشام واطلع عليه ابن عساكر(٤٥).

أما مؤلفاته التي وصلت إلينا فهي:

١ - كتاب الإكليل، وسنفصل القول فيه فيما يأتي.

٢ - كتاب صفة جزيرة العرب، وهو من أهم المصادر الجغرافية في التعريف بجزيرة العرب ومواضعها، ولا سيما بلاد اليمن التي جابها الهمداني وزار مواضعها بنفسه، وليس بين أيدينا كتاب يفضله في هذا الباب وقد طبع أكثر من مرة، طبع للمرة الأولى في ليدن بهولندة سنة ١٨٩١م، وطبع مرة أخرى بمصر بتحقيق الأستاذ محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي سنة ١٩٥٣م، وطبع مرة ثالثة بتحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وإشراف العلامة حمد الجاسر

(٤٤) بغية الوعاة ١/٤٩٨.

(٤٥) مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥، الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ومرجعه تهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ٢٦، ٥٣.

٣ ـ القصيدة الدامغة النونية ومطلعها:

ألا يا دار لولا تنطقينا فإنّا سائلوك فخبّرينا

وهي قصيدة طويلة قرابة ستمئة بيت في الفخر بقحطان، عارض بها الهمداني قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية ومطلعها:

ألا حُييّت عنا يامَدينا وهل بأس بقولٍ مسلّمينا

وقد شرح ولد الهمداني قصيدة أبيه، وحصل عليها القفطي في جملة الكتب اليمنية التي أحضرها والده من اليمن، وهو يذكر أن هذه القصيدة أحدثت له العداوة من النزارية والمتنزرة(٤٦).

وهذه القصيدة مدرجة في نهاية مخطوطة برلين من كتاب الإكليل، (الجزآن الأول والثاني)، وذكر الأستاذ الأكوع أن لديه نسخة منها مبتوراً آخرها وأنه الحق بها ماهو مذكور منها في الجزء الثاني من الإكليل وقد قام الأستاذ الأكوع بتحقيق القصيدة ونشرها.

٤ ـ كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء.

نُشر هذا الكتاب في مدينة إبسالا بالسويد عام ١٩٦٨ بتحقيق المستشرق الدكتور كريستوفر تول مع مقدمة في دراسة الكتاب، ثم قام الدكتور يوسف محمد عبد الله بإعادة نشر الكتاب الذي حققه تول وترجم الدراسة وطبع في صنعاء عام ١٩٨٥ .

ثم أعاد الأستاذ حمد الجاسر تحقيق الكتاب ونشره بالرياض عام ١٩٨٧

٥ ـ كتاب سرائر الحكمة

---

(٤٦) إنباه الرواة ٢٨٣/١.

وقد عرّف به صاعد في طبقات الأمم فقال: «كتاب سرائر الحكمة وغرضه التعريف بعلم هيئة الأفلاك ومقادير حركات الكواكب وتبيين علم أحكام النجوم واستيفاء ضروبه واستيعاب أقسامه[٤٧].

وقد وقع جزء من هذا الكتاب في يد الأستاذ محمد الأكوع وهو المقالة العاشرة منه، واستخرج منه تاريخ مولد الهمداني وتاريخ سجنه[٤٨].

* * *

للبحث صلة

(٤٧) طبقات الأمم لصاعد. ص ١٤٧.

(٤٨) انظر: مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص ٧٥.

الحسن بن أحمد الهمداني

وكتابه الإكليل

الدكتور : إحسان النص

– ٢ –

كتاب الإكليل

كتاب الإكليل أهم كتب الهمداني، ومما يدعو إلى الأسف أنه لم يعثر من أجزائه العشرة إلا على أربعة أجزاء هي الأول والثاني والثامن والعاشر. وقد علل القفطي فقدان أكثر أجزائه فقال: «وهو كتاب جليل جميل عزيز الوجود، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إلي من اليمن، وهي الأول والرابع يعوزه يسير، والسادس، والعاشر، والثامن، وهي على تفرقها تقرب من نصف التأليف، وصلت في جملة كتب الوالد[٤٩] المخلفة عنه، حصَّلها عند مقامه هناك. وقيل إن هذا الكتاب يتعذّر وجوده تاماً، للمثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن، فأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب، وتتبعوا إعدام النسخ منه، فحصل نقصه لهذا السبب»[٥٠].

---

(٤٩) والد القفطي هو القاضي الأشرف أبو الفضائل يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، كان من الكتاب المشهورين، وقد ناب عن القاضي الفاضل في ديوان الإنشاء لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وعمل وزيراً للأشرف بن موسى العادل. ثم دخل اليمن فاستوزره أتابك سنقر. توفي سنة ٦٢٤ هـ.

(٥٠) إنباه الرواة ١/ ٢٨٢.

فالكتاب إذن كانت بعض أجزائه مفقودة منذ زمن القفطي (القرن السابع الهجري). ومع ذلك فقد عثر على الجزء الثاني منه الذي ذكره القفطي في عداد الأجزاء المفقودة. وينقل الأستاذ نبيه أمين فارس عن أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» أنه في أثناء وجوده في صنعاء قيل له إن كتاب الإكليل كاملاً بعشرة أجزائه موجود في مكتبة الحضرة الإمامية(٥١). ولسنا نستبعد ذلك، وكان علماء اليمن وحكامه يضنون بما عندهم من مؤلفات اليمن القديمة. على نحو ماذكره القفطي - وعسى أن تسعف الأيام بالعثور على جميع أجزائه.

وذكر الأستاذ شكيب أرسلان أنه من المحتمل أن تكون أجزاء الكتاب كاملة في إيطالية، في جملة الكتب التي جاء بها المستشرق غريفيني من اليمن، على أنه لم يستطع التحقق من صحة هذا الأمر(٥٢).

على أن فقدان بعض أجزاء الكتاب لم يحل دون معرفتنا بموضوعاتها، وقد ذكرها القفطي في الإنباه(٥٣)، وذكرها صاعد في كتابه(٥٤)، مع اختلاف يسير بينهما، وموضوعات أجزاء الكتاب هي:

الجزء الأول: في المبتدأ ونسب مالك بن حمير.

الجزء الثاني: في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم.

الجزء الثالث: في فضائل اليمن ومناقب قحطان.

الجزء الرابع: في سيرة حمير الأولى إلى عهد تُبّع أبي كرب.

الجزء الخامس: في سيرة حمير الوسطى من أيام أسعد تُبع إلى أيام ذي نواس.

---

(٥١) انظر مقدمة الجزء الثامن من الإكليل.

(٥٢) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد العاشر. سنة ١٩٣٠.

(٥٣) إنباه الرواة ١/٢٨٢.

(٥٤) طبقات الأمم ص ١٤٧.

الجزء السادس: في سيرة حمير الآخرة إلى الإسلام.

الجزء السابع: في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة.

الجزء الثامن: في القبوريات وعجائب ماوجد في قبور اليمن وشعر علقمة ابن ذي جدن وأسعد تبّع.

الجزء التاسع: في أمثال حمير وحكمهم وتجاربهم المروية بلسانهم الموضوع للرطانة عندهم.

الجزء العاشر: في معارف همدان وأنسابها وتتف من أخبارها.

دراسة الكتاب

١ـ الجزآن الأول والثاني

مخطوطات هذين الجزأين ومطبوعاتهما

مخطوطة كل من الجزأين الأول والثاني من الإكليل ومعهما القصيدة الدامغة عثر عليهما عام ١٩٣٢ بين مخطوطات مكتبة برلين، وقد أخذت عنهما نسخة مصورة نشرت عام ١٩٤٣، وهاتان المخطوطتان تحتويان على رواية محمد بن نشوان الحميري للجزأين الأول والثاني من الكتاب، وقد ألفهما قريباً من سنة ٦٠٠ للهجرة، وسنتحدث عن هذه الرواية فيما يأتي.

وتوجد مخطوطة للجزء الثاني وحده في القاهرة، دار الكتب، برقم ثان ٥/٤١٠. وذكر الأستاذ حمد الجاسر أن لديه نسخة حديثة الخط من الجزء الأول(٥٥).

وعثر الأستاذ محمد بن علي الأكوع على مصورة لمخطوطتي برلين لدى القاضي محمد بن عبد الله بن الحسين العمري واعتمدهما في نشر الكتاب.

---

(٥٥) انظر مجلة مجمع اللغة العربية. المجلدة ٢٥، الجزء الأول، سنة ١٩٥٠.

كما عثر على نسخة مبتورة تحتوي على أنساب قحطان لم يذكر فيها اسم المؤلف ولا اسم الناسخ في مجلد واحد مع كتاب «طرفة الأصحاب» للملك الأشرف بن رسول وكتاب «الباب في معرفة الأنساب» لأبي الحسن أحمد ابن محمد الأشعري، وعلى ظاهر المجموعة تمليك باسم القاضي علي بن حسن بن محمد الأكوع، وقد سماها المحقق «النسخة المنقطعة».

والنسخة التي اعتمدها المحقق الأستاذ الأكوع كثيرة الأخطاء والتصحيف والتحريف، وتاريخ نسخها سنة ست وعشرين وثمانمئة بخط محمد بن أحمد ابن الضريوة، من قبيلة الهميسع بن حمير.

ويذكر الأستاذ الأكوع في مقدمة الطبعة الأولى أن المخطوطة التي وقف عليها هي جزء من كتاب ألفه محمد بن نشوان الحميري. وقد تحقق أنها كتاب الإكليل عينه، لأن ابن نشوان نقل ما في كتاب الهمداني من أنساب حمير بنصه، لم يكد يغير فيه إلا أشياء قليلة اختصاراً أو إضافة، ولهذا أجاز لنفسه أن يجعل عنوان الكتاب: الإكليل. فالكتاب الذي بين أيدينا ليس هو إذن كتاب الإكليل عينه وإنما هو اختصار له من عمل محمد بن نشوان.

وما ذكرناه يفسرّ وجود مقدمتين للكتاب، أولا هما لمحمد بن نشوان ابن سعيد الحميري[٥٦]، وهو يصرّح فيها بأن كل ما أتى به في أنساب حمير مأخوذ من كتاب الهمداني، يقول مخاطباً شخصا كلفه تأليف كتاب في

(٥٦) محمد بن نشوان الحميري، عالم جليل، كان يتولى مخلاف خولان صعدة، ثم بلغه أن الإمام الزيدي المنصور بالله عبد الله بن حمزة يسير في الناس سيرة منكرة فخرج عليه وحرّض الناس على خلع طاعة الإمام، فكلف الإمام أحد صنائعه قتله ولكنه لم يفلح في ذلك، وقامت الحرب إثر ذلك بين جماعة الإمام وأنصار ابن نشوان وانتهت بالموادعة بينهما. له طائفة من المؤلفات. توفي سنة ٦١٠ هـ. وأبوه نشوان بن سعيد، من علماء اليمن المعدودين. له مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب «شمس العلوم» توفي سنة ٥٧٣.

أنساب حمير: «سألت أكرمك الله بأنواع كرامته، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته، أن أوضح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها، وما حفظ من سيرها وآثارها، فأجبتك إلى ما سألت، وأشفعتك بما طلبت، مؤتماً بما ذكره الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن، وفائق من كان فيه من الزمن، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، رحمه الله، ممّا صحّحه من علمه الجليل، وحقّقه في كتابه المعروف بالإكليل». وبعد أن أثنى على الهمداني وعلمه أضاف: «فأثبت في النسب ما أتى به، ذاكراً لما ذكره في كتابه، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب، ليس هو في جملته بمحتسب، بل هو ممّا ذكره من الاختلاف في التاريخ»(٥٧). وتلي هذه المقدمة مقدمة الهمداني بلا فاصل بينهما. ومن الإشارات الدالة على بعض ما أضافه محمد بن نشوان إلى الكتاب ماتجده في الصفحة ٢٧٩ من الجزء الأول ونصه: «شهاب من خولان، فيكذب ذلك أهل المعرفة، هذا قول الهمداني، وغيره من النُسّاب يقول: أولد خولان بن عمرو ثلاثة عشر ابناً». فعبارة غيره من النساب يرجح أن تكون من كلام ابن نشوان.

نشر هذان الجزآن مرتين كلاهما بتحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى في القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م. وبعد نشرها نشر الأستاذ حمد الجاسر ـ أطال الله بقاءه ـ تصحيحات على هذه الطبعة الكثيرة الأخطاء نشرها في مجلة العرب عام ١٩٦٧. وقد أفاد الأستاذ الأكوع من هذه التصحيحات لدى إعادة طبع هذين الجزأين فصحح كثيراً من الأخطاء التي وقعت في الطبعة الأولى، واستفاد كذلك من الملاحظات التي أرسلها إليه الشيخ محمد بن علي الأشول اليحصبي حول متن الكتاب وحول

---

(٥٧) مقدمة كتاب الإكليل ٨١/١.

التعليقات التي أوردها الأستاذ الأكوع في الحواشي(٥٨).

وقد فرغ الأستاذ الأكوع من إعادة النظر في الجزأين وإعدادهما للطبع سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨م، ولكن طبعهما تأخر لبعض الأسباب حتى عام ١٩٧٦م، وقد طبع في مطابع الجمهورية العراقية.

وعلى ما بذله المحقق الكريم من العناية في طبعة هذين الجزأين الثانية وتصحيح ما وقع من أخطاء في الطبعة الأولى مايزال هذان الجزآن في حاجة إلى مزيد من إعادة النظر، والأخطاء الطباعية فيهما كثيرة.

وقد بذل المحقق جهداً مشكوراً في إثبات تعليقاته في حواشي الكتاب، لشرح بعض الألفاظ الغامضة وتعيين الأماكن التي وردت في المتن وترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب، ولكنه أطال كثيراً في هذه التعليقات وعرّف بأعلام لا حاجة إلى التعريف بهم كالخلفاء الراشدين والأمويين، وشرح معاني ألفاظ لا حاجة إلى شرحها.

ويؤخذ عليه أنه لم يصنع فهرساً لأعلام الأشخاص وأسماء المواضع وللأشعار الواردة فيه ونحو ذلك، وهو أمر لا غنى عنه في كتب التراث.

وقد ضمّن المحقق الجزء الأول قصيدة «الجار» التي هجا بها الهمداني ملك حمير أبا حسّان أسعد بن أبي يعفر(٥٩).

موضوعات الجزء الأول

يبتدىء الجزء الأول بمقدمة محمد بن نشوان الحميري التي يقرّ فيها أنه لم يأت بجديد فيما أورده من كتابه، فقد أثبت ما وجده في كتاب

---

(٥٨) انظر مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الأول من كتاب الإكليل.

(٥٩) انظر ص ٦٣ من الجزء الأول.

الهمداني مع شيء من الاختصار، والحديث هنا عن أنساب حمير وأخبارها.

وتلي مقدمة محمد بن نشوان مقدمة الحسن الهمداني التي صدّر بها كتابه، وقد استهلها بحمد لله والثناء على رسوله، وضمّن كلامه آيات من القرآن الكريم، ثم خلص إلى كلام عمر بن الخطاب في الحضّ على تعلّم الأنساب ليتعارف الناس بها، ثم أبان عن ولعه منذ حداثة سنه بتقصّي أخبار الأمم الماضية وأنساب القبائل، وقد وجدها مضطربة مختلطة، ووجد النسّابين قد عنوا بأنساب مالك بن حمير (أي قضاعة) وأهملوا نسب الفرع الثاني منها وهو الهميسع بن حمير وجهلوه لأنهم لم يرحلوا إلى اليمن ولم يلقوا رجالها ونُسّابها حتى إن محمد بن اسحاق سرد نسب الهميسع في خمسة أسطر، ثم نوهّ بذكر نسّابة حمير وقارئ مساندها أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعيد اليعفري الحميري المعروف بالحنبصي، وعنه أخذ جلّ ما ذكره في كتابه من أنساب حمير، قال: «فما أخذته عنه ما أثبتّه في كتابي هذا من أنساب حمير وحكمها، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان وما خبّرني به الآباء والأسلاف»[٦٠].

وقد وضع الهمداني أبا نصر في منزلة أرفع من منزلة سائر نسّابي العرب، وختم مقدمته بكلمة في أقسام القبيلة العربية: الشعب فالقبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالحبل فالفصيلة.

ويبدأ الكتاب بالكلام على مبتدأ الخلق، جرياً على سنة جمهرة المؤرخين القدامى، فبدأ بخلق آدم وخبره وذكر مايرويه ابن اسحاق وابن عباس وغيرهما في خلق آدم وحوّاء وهبوطهما من الجنة وقتل قائن (قابيل)

---

(٦٠) الإكليل ٨٩/١.

أخاه هابيل، وذكر أسماء أبناء آدم الذكور والإناث وأن العقب في شيث ابنه وفي ذريته النبوة، أما من تناسل من قابيل فقد هلكوا في الطوفان، وذكر أن وفاة آدم كانت بمكة وقبره بجبل أبي قبيس(٦١).

وفي فصل ثان يتحدث الهمداني عمن تناسل من قائن ابن آدم، ثم عمّن تناسل من شيث بن آدم الذي تزوج أخته حزورة، وساق نسب بني شيث إلى نوح النبي عليه السلام، وذكر سني حياتهم، وتزوج نوح عزرة فأنجب منها أولاده الأربعة وهم: سام وحام ويام ويافث. وأورد المؤلف بعد ذلك الأحاديث المتصلة بعمر الدنيا حتى هجرة الرسول عليه السلام. ومعوّل الهمداني في هذه الأخبار على ابن إسحاق وابن الكلبي وعلى أحد شيوخ مكة الذين أخذ عنهم أثناء إقامته بها واسمه الخضر بن داود وعلى أبي معشر جعفر بن محمد البلخي (ت ٢٧٢ هـ). وهو يروي كذلك عن الصعديين ماسمعوه من إبراهيم بن عبد الملك الخنفري الذي قرأ كتب كعب الأحبار.

ثم أفرد الهمداني بابا لما جاء في ذكر نوح والطوفان من الشعر. ثم يتابع ذكر أنساب أبناء نوح من كل أولاده حام وسام ويافث، أما يام فقد غرق في الطوفان. والعرب العاربة كلها من ولد سام بن نوح وكانت تتكلم اللسان العربي(٦٢). ومن نسل أرفخشذ بن سام كان قحطان (أو يقطان).

ثم عرض في باب نسب هود لما وقع من الخلاف بين النسابين بشأنه، وجل نسّابي قحطان على أن هوداً النبي هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، وهو يروي بعض ما قاله شعراء اليمنية كحسان بن ثابت والنعمان بن بشير في إثبات انتماء بني قحطان إلى هود النبي، ولكن

---

(٦١) ١/ ٩٨ - ١١٤.

(٦٢) ١/ ١٥٦.

الهمداني لا يوافق حسان في كل ما ادعاه من انتماء هود وإدريس وصالح ويونس وشعيب وإلياس إلى قحطان.

ثم يعقد باباً للفرق بين قحطان وعدنان وينتهي إلى أن قحطان ليس من نسل إسماعيل عليه السلام وإنما عدنان وحده ينتمي إليه، ويؤول ما قاله الرسول عليه السلام لبني أسلم من خزاعة: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»، أن هذه القرابة إنما جاءت من الأمهات لا من الآباء(٦٣).

وبعد هذه المقدمات شرع الهمداني في ذكر الأنساب القحطانية، وقحطان عنده هو النبي هود عليه السلام، فيذكر أبناء قحطان بن عابر وأشهرهم يعرب، وهو يجعل جرهم من أبنائه، ويذكر إصهار إبراهيم إلى جرهم باثنين من ولده إسماعيل وبقشان. ثم يمضي في تعداد أبناء قحطان واختلاف النسابين في أسمائهم وتعدادهم، ومنهم في قول بعض النسابين طسم وجديس وجرهم وحضرموت. وفي سياقة هذه الأنساب يتحدث عن حنظلة بن صفوان الذي تزعم طائفة من أهل اليمن أنه كان نبياً إلى حمير وهمدان فقتله قومه. ثم يسوق النسب من يعرب إلى يشجب وإخوته، ثم إلى أولاد يشجب سبأ الأكبر واخوته، ثم إلى حمير وكهلان ابني يشجب. والمؤلف يورد أشعاراً تتصل بهذه الأنساب.

نسب حمير

هذا الجزء والجزء الذي يليه من الإكليل وقفهما الهمداني على أنساب حمير، وقد بدأ بنسب مالك بن حمير الذي تنتمي إليه، في رأي نسابي اليمن، قبيلة قضاعة الضخمة.

وقد تناول ابن الكلبي وغيره من النسابين أنساب هذه القبيلة ولكنهم

---

(٦٣) ١٧٧/١

أغفلوا ذكر إحدى قبائل قضاعة التي استقرت في بلاد اليمن ولم تنزح إلى بلاد الشام إلا قلة منها، بخلاف قبائل قضاعة الأخرى، وهي قبيلة خولان القضاعية التي نزل الهمداني في ديارها، ولخولان مخلاف باليمن حاضرته مدينة صعدة. وقد أقام بها الهمداني، وفق ما ذكره لنا، عشرين سنة، فحاطته برعايتها وأغدق عليه رؤساؤها الهبات فجزاهم بمدائح كثيرة، وخولان هي التي هبّت لنصرته حينما سجن بصعدة وصنعاء، ولهذا رأى الهمداني حقاً عليه أن يفصّل القول في نسبها، أما سائر قبائل قضاعة فقد ذكر أنسابها على وجه الإيجاز.

ونسب قضاعة في كتب النسابين العرب، وفي مقدمتهم ابن الكلبي، يذكر فيه بين قضاعة ومالك بن حمير خمسة أسماء: قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير، ولكن أصحاب السجل يذهبون إلى أن عدادهم أكثر من هذه الأسماء الخمسة، وأنه نقص بعد أيام بختنصر شيء من علم العرب وساكني الحجاز والشام بالأنساب والأيام(٦٤).

ثم عقد الهمداني فصلا عنوانه: تصحيح نسب قضاعة، وهو في هذا الفصل يقدّم الأدلة من مقارنة التواريخ والأشعار والوقائع على أن قضاعة حميرية النجار وليست نزارية. ويلاحظ هنا أن المؤلف ينظر إلى المرويات حول تاريخ ولادة الرجال القدامى على أنها حقائق تاريخية لا يتطرق إليها الشك، ويعقد مقارناته التاريخية على أساسها.

ويذكر الهمداني أن قوماً صنعوا أبياتاً على ألسن قوم من قضاعة، ورووا أحاديث وأخباراً ليدعموا زعمهم بأن قضاعة معدّية، وافتعلوا خبراً

---

(٦٤) ١/٢٠٩.

مفاده أن مالك بن حمير طلّق زوجه الجرهمية فخلف عليها معدّ وهي حامل من مالك بقضاعة، فهي في زعمهم معدّية النجار، ولكن شعراء قضاعة أنكروا ذلك وقالوا أشعاراً في إثبات نسبتهم الحميرية[٦٥]، وهو يروي أحاديث منسوبة إلى الرسول ﷺ تؤيد انتساب قضاعة إلى حمير، وقد أطال الهمداني القول في هذا الجانب واستغرق صفحات طوالاً من كتابه.

ولمّا فرغ من تصحيح نسب قضاعة انتقل إلى ذكر نسبها[٦٦]، وقد أوجز في ذكر قبائلها إيجازا شديدا، ونسب قضاعة في كتاب النسب لابن الكلبي أكثر تفصيلا.

على أن الهمداني حين بلغ قبيلة خولان القضاعية، وهي خولان بن عمرو ابن ألحاف بن قضاعة، وقف عندها وقفة طويلة استغرقت ما يقارب نصف الجزء الأول من الكتاب. ويسوغ الهمداني إطالته في نسب خولان بقوله: «وقد ذكرنا نسب قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها وعمران قلوبهم بها وأسماعهم، سوى خولان فإننا رأينا أن تشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران، ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته، ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء»[٦٧]. على أن السبب الأقوى لإطالة الهمداني في ذكر نسب

---

(٦٥) ١/ ٢٢٧.

(٦٦) ١/ ٢٥٥.

(٦٧) ١/ ٢٧٤.

خولان إنما مردّه إلى اقامته بصعدة، ديار خولان، مدة عشرين سنة، ورعاية رؤساء خولان ورجالها له، ونضالهم دونه حينما سجن بصعدة وصنعاء.

وقد تفرّعت خولان من سبعة نفرهم: حيّ، وهو أكبرهم، وفيهم كان البيت والرياسة، وسعد، وهو الذي مُلّك بصرواح، ورشوان، وهانئ، ورازح، والأزمع، وصُحار، وهو أخو حيّ من أمه، وهذان البطنان متواصلان من خولان إلى اليوم. هذا ما يذكره الهمداني، ويذكر الأستاذ الأكوع أنهما مازالا موجودين حتى اليوم ويقطنان على مقربة من صعدة.

وفي سياقة نسب خولان يتحدث الهمداني عن الرجال البارزين فيهم، ومنهم: عمرو بن زيد بن مالك، سيد قضاعة في عصره والمجمع على رياسته، ويحيى بن عبد الله بن زكريا سيد أكيل، وهو أحد من قام في فك الهمداني من سجن العلوي بصعدة(٦٨)، وللهمداني مدائح فيه وقد رثاه بعد موته، ومن قوله فيه:

إنّي لَمُثنٍ وشاكرٌ لكَ ما … أوليتَ من مِنّة وذاكرها

ومنهم حُجر بن سعد أبو رعثة الأكبر الذي قام بحرب مذحج وأجمعت قضاعة على رياسته، ومنهم محمد بن عبّاد بن كثير الذي قام برياسة قومه وبلغ في خولان مبلغاً عظيماً وأخضع بني رازح من خولان، ثم أخذ منهم رهناً وأسلمهم إلى رجال من قومه فقتلوا أسراهم، فحاربته خولان بسببهم وقتلته، وبسبب قتله قامت الحرب بين بطون خولان، وخاصة بين بني سعد وبني ربيعة، ولم تنطفئ إلا بمقدم الإمام الهادي الذي أمّرته خولان عليها بصعدة. ومنهم الحسن أبو الصبّاح بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن

(٦٨) ١/ ٣١٢.

عبّاد الأكيلي، وكان سيد خولان في زمن الهمداني، ومنهم المسلّم بن عبّاد ابن عبد الله الذي ناصب العلويين العداء وقاتل عمّالهم وشق عصا الطاعة عليهم. ومنهم عمرو بن يزيد بن سعد، كان سيد بني عوف في زمنه ولسان خولان، وكان معاصراً لسيف بن ذي يزن، وخولان تقول إنه لم يقتل أحد من العرب مثل من قَتل عمرو بن يزيد من السادة والعظماء.

وذكر من شعراء خولان المشهورين عبد الله بن محمد بن عبّاد، وعبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي، وقد روى الهمداني جانباً من شعر ابن عباد(٦٩).

وفي سياقة أنساب الربيعة من خولان يذكر الهمداني بطني عامر ومُرّ فيقول إنهما ممّن ناصب الإمام العلوي الناصربن الهادي العداء بسبب سجنه الهمداني، وللهمداني شعر في مديحهما.

ثم يعقد الهمداني فصلاً لا صلة له بنسب خولان يذكر فيه نسب قبيلة عَنْز بن وائل الربعية، وعذره في ذلك دفع الالتباس بين القبائل التي ذكرها وبين عنز بن وائل، لتشابه الأسماء.

ثم يعود إلى نسب خولان فيذكر اسم رجلين هما مسلَمة بن يَغنم، من بني حيٍّ بن خولان، وابن المستنير الزبيدي، فيقول إنهما كانا علاّمتي نجد، وهما اللذان قيّدا أنساب خولان وأيامها مع مذحج وبني سُليم وهوازن وأيام خولان فيما بينها(٧٠).

وفي سياق نسب صُحار بن خولان يذكر الهمداني آل أبي فطيمة، من أهل العشَة،(٧١) فهم الذين قاموا مع إبراهيم بن موسى بن جعفر بن

---

(٦٩) الكتاب ١ /٣١٢ - ٣٧١.

(٧٠) ١/ ٣٨٧.

(٧١) في معجم ياقوت: العشّان: بلد باليمن من أرض صعدة، ويذكر الهمداني من كان يقطن في ذلك البلد بلفظ: العشيُّون.

محمد الرضي[٧٢]، وأخربوا صعدة معه، وقاموا مع من قام من خولان على محمد بن عبّاد فقتلوه، وهم الذين قدموا على يحيى بن الحسين بن القاسم في الرسّ فملكوه بلد خولان وساروا معه إلى اليمن حتى ملكها[٧٣].

وآل أبي فطيمة هؤلاء ظلّ ولاؤهم للإمام الهادي ولولديه من بعده: محمد بن يحيى (ت ٣١٠ هـ) والناصر أحمد بن يحيى (ت ٣٢٢ هـ). وقد بويع الناصر هذا بالخلافة وانقادت له بلاد اليمن، وكانت صعدة مقر خلافته. وهو الذي سجن الهمداني بصعدة - على ما بيّنّا آنفاً - ويذكر الهمداني أن آل أبي فطيمة هم ممن سعوا في إطلاق الهمداني لما سجنه أسعد ابن أبي يعفر بصنعاء، وتولى ذلك منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس، فلمّا لم يجبهم الناصر إلى ما طلبوا أظهروا له الخلاف، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله، حتى اضطر الناصر إلى إطلاق الهمداني من سجنه بصنعاء، وقد فخر الهمداني في إحدى قصائده بمناصرة خولان وابن زياد له[٧٤].

على أن الخلاف بين الناصر أحمد وخولان لم ينطفئ بإطلاق الهمداني، فيذكر المؤلف أن الناصر انتهز افتراق جماعة الربيعة بن سعد وطوائف من همدان فواقعهم بموضع حَمُومة، فقاتله زيد بن أبي العباس، وكان فارس العرب، فهزمه، ثم هاجموا نجران يؤازرهم حسّان بن عثمان بن

---

(٧٢) هو إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، (توفي بعد سنة ٢٢٢هـ)، كان أحد الطغاة الجبّارين، كان بمكة ثم خرج إلى اليمن فدخل صعدة داعياً لابن طباطبا العلوي، فترك الوالي العباسي له صنعاء، فاستولى على اليمن وكان يدعى «الجزار» لكثرة من قتل باليمن.

(٧٣) ١ / ٤٢٥.

(٧٤) ١/ ٤٢٦ وما بعدها.

أحمد بن يعفر فكان بينهم يوم الباطن، والهمداني يذكر أنه من أعظم أيام العرب، وقد قتل فيه الحسن بن يحيى أخو الناصر، وما لبث الناصر أن توفي غماً(٧٥).

ثم قامت بين الربيعة وزيد بن أبي العباس حرب قتل فيها زيد، وللهمداني قصائد قالها في تلك المناسبة يهجو فيها الربيعة وسعد بن سعد ويرثي زيداً.

ويمضي الهمداني بعد ذلك في استقصاء أنساب بطون خولان الأخرى، البادية منها والحاضرة، فيذكر نسب خولان العالية، وأنساب بني شهاب. وبذلك يتم الجزء الأول من الكتاب.

الجزء الثاني

تناول الهمداني في هذا الجزء أنساب الهميسع بن حمير، وهذا النسب لم ينل من عناية النسابين ماهو جدير به، وقد ذكرنا تعليل الهمداني لصنيع النسّابين هذا، وكتاب الهمداني هو المرجع الأوفى الذي وصل إلينا لأنساب الهميسع بن حمير، فابن الكلبي تناول هذا النسب في إيجاز شديد ولم يشغل إلاّ حيزاً صغيراً من كتابه الضخم، في حين أن نسب الهميسع استغرق مايقارب جزءاً كاملاً من أجزاء الإكليل العشرة.

وليس للجزء الثاني مقدمة مستقلة لأنه بمثابة التتمة للجزء الأول، فكلاهما في أنساب حمير، وهو يبدأ بعبارة: «قال أهل السجل: أولد الهميسع بن حمير يامناً وأيمن ولهسعاً والهاسع والمختسع ومتبعاً وأقرع». ونلاحظ أن الأسماء الواردة في نسب الهميسع بن حمير تتّسم بالغرابة بالقياس إلى الأسماء العربية المألوفة، في حين أن الأسماء الواردة في نسب

---

(٧٥) ١ / ٤٣٠ - ٤٣٥.

قضاعة تشابه أسماء العدنانيين، ولعلّ مردّ هذا إلى التباين في البيئة التي عاش فيها كل من جذمي حمير، فقد استقرّت جل قبائل قضاعة في بلاد الشام وشمالي الجزيرة العربية في حين بقيت بطون الهميسع في اليمن، موطن الدولة الحميرية، واللغة الحميرية تختلف عن لغة القبائل العدنانية، وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء قوله: «مالسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا»[٧٦]، واختلاف هاتين اللغتين من أقوى أسباب الشك في صحة ماروي من أشعار اليمانين القدامى.

ويعرض الهمداني في هذا الجزء لما وقع من الخلاف في انتساب بعض القبائل اليمنية، ومنها قبيلة الصُدِفُ (أو الصَدف)، فالخلاف بين النسابين حولها كبير. ويذكر الهمداني أن كثيراً من النُسَّاب يجعلونها من حمير[٧٧]، ولكنه ينقل عن علماء صعدة وأصحاب السجل القديم أن مالكاً الذي تنسب إليه الصدف كان أخا ثور بن مرتع وهو كندة، ثم وقع نزاع بين مرتع وبعض بطون حضرموت فاقتتلوا ودارت الدائرة على حضرموت والسلف ابني قحطان، فخرجوا حتى دخلوا مدينة شبوة (وهي مدينة إلى الجنوب الشرقي من صنعاء)، فأقاموا بها ومعهم أختهم رِهْم الحميرية، امرأة مرتع، ومعها ابنها مالك بن مرتع صغيراً، فنشأ في أخواله حضرموت وتزوج فيهم. وهذا سبب دخول الصدف في حضرموت. وقد أحدث بعض النسابين نسباً للصدف يصلهم بحضرموت.

ويخطّئ الهمداني ابن الكلبي في اسم الصدف، فالهمداني يسميه مالكاً ـ كما قدمنا ـ وابن الكلبي يسميه شهالاً، ويعلّق الهمداني على ذلك

---

(٧٦) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/١١.

(٧٧) الإكليل ٢/ ٣٠.

بقوله : «وفي هذه المواضع المشكلة يأتي تخليط النُسّاب، إذ كانوا عن الأحياء التي ينسبونها بمكان بُعد وشحط وتخليط البادية، إذ لم يكن فيهم من يقيّد، وإنما سمع بعض من نقل إليه بقول بعض نسابة حمير القدماء إن عمرو بن الغوث بن حيدان أولد حضرمياً وشهالا، فظنّ أن حضرمياً هو حضرموت، وذلك منكر من الاستحالة(٧٨). وثمة خلاف في ضبط كلمة الصدف، ضبطها الهمداني بضم الصاد والدال، وضبطها صاحب القاموس وصاحب اللسان بفتح الصاد وكسر الدال.

وبعد انقضاء نسب الصدف عاد الهمداني إلى أنساب سائر حمير، وجل بطون الهميسع بن حمير تتفرع من جيدان بن عريب بن أيمن بن الهميسع. ومن بني عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان آل الصوار، وفيهم الملك والبيت والرياسة والسياسة(٧٩)، وإلى هذا الحي تنسب تابعة حمير.

ومن ملوك حمير آل يعفر بن عبد الرحمن بن كريب الذين ملكوا اليمن سنة أربع عشرة ومئتين إلى يوم أُلِّف هذا الكتاب - أي الإكليل - سنة ثلاثين وثلاثمئة(٨٠).

وفي سياق ذكر أنساب الهميسع يذكر الهمداني اسم إبراهيم بن عبد الحميد بن محمد بن الحجّاج المَسْوري، من ولد شمّر، وكان أمير مسور، وأجلى القرامطة عن إمارته. وقد عاشره الهمداني ونادمه في مَسور(٨١)، (وهي من أعمال صنعاء).

(٧٨) الإكليل ٢/ ٣١.

(٧٩) ٢/ ٥٩.

(٨٠) ٢/ ٨٢.

(٨١) ٢ / ٨٦.

ومن الأخبار التي يشتمل عليها نسب الهميسع خبر مقدم إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق إلى اليمن على رأس المئتين، وإسراع بني سعد بن سعد إلى موالاته لتقوى به على الأكيليين وبني شهاب وحمير، وغدرهم ببني خنفر و أكيل وبني شهاب. وقد أثار صنيعهم أحمد بن يزيد فألّب أهل اليمن على إبراهيم، وقام هو وطوائف من اليمانية مع عبد الله بن محمد بن الأحول بن ماهان فطردوا إبراهيم بن موسى المشهور بلقب الجزّار[٨٢].

وفي سياقة نسب آل يعفر الحِوالييين يذكر المؤلف أبا حسّان أسعد بن إبراهيم بن يعفر، وهو الذي سجن الهمداني بصنعاء. ويتحدث الهمداني عنه بقوله: «وأسعد هو أبو حسان ملك عصرنا، وذهب على من قبله بالصوت، وهو الذي اجتث عرقاة القرامطة باليمن، وهو فارس حمير في عصره». ويستمر في الثناء عليه بعد ذلك، فلم يحمله حقده عليه على غمط حقه ووصفه بما يستحق، وقد عيّن سنة وفاته بسنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة[٨٣].

وفي حديثه عن أنساب بني يَحْصُب يسوق خبر وفود الضحّاك بن المنذر بن سلامة ذي فائش على معاوية بن أبي سفيان، والحوار الذي دار بينهما، وفيه تحدٍّ لمعاوية وفخر باليمانية، ومن ذلك قوله لمعاوية حين حطّ من قدر اليمانية: «مهلاً يامعاوية، فإن أولئك كانوا للعرب قادة، وللناس سادة، ملكوا أهل الأرض طوعاً، وجبروهم كرهاً، حتى دانت لهم الدنيا بما فيها، وكانوا الأرباب، وكنتم الأذناب، وكانوا الملوك وكنتم السوقة، حتى دعاهم خير البريّة، بالفضل والتحية، محمد ﷺ فعززوه أيّما تعزيز، وشمّروا

---

(٨٢) ٢/ ١٣٧.

(٨٣) ٢ / ١٨٤.

حوله أيّما تشمير، وشهروا دونه السيوف، وجهّزوا الألوف بعد الألوف، وجادوا بالأموال والنفوس، فضربوا معدّاً حتى دخلوا في الإسلام كرهاً، وقتلوا قريشاً يوم بدر فلم تطلبوهم بوتر، فأصبحت يا معاوية تحمل ذاك علينا حقداً، وتشتمنا عليه عمداً، وتقذف بنا في لجج البحار، وتكفّ شرك عن نزار، ونحن منعناك يوم صفّين، نصرناك على الأنصار والمهاجرين..» إلى آخر الحديث، فغضب معاوية من كلامه وأمر بضرب عنقه، فحامت عنه رؤوس اليمانية التي كانت في مجلسه وخاطبت معاوية بمثل ما خاطبه به الضحّاك، وتهدّدته بمحاربته وشق عصا الطاعة عليه، ومن هؤلاء عُفير بن زرعة اليزني، وكُريب بن أبرهة، ويزيد بن حبيب المرادي، ونائل بن قيس الجذامي، فتراجع معاوية عن قراره، وولّى الضحّاك إرمينية(٨٤). ونحن يساورنا الشك في صحة هذا الحديث الذي يغض فيه معاوية من شأن القبائل اليمانية، وهم جلّ أنصاره، ويغض الطرف عن مفاخرة القحطانيين له وتحدّيهم إياه، وأغلب الظن أنه من وضع بعض اليمانية، ولم يرد ذكره في تاريخ الطبري ولا في المصادر التاريخية الموثوق بها. يلي هذا الخبر قصائد لشعراء يمانين يفخرون فيها بقحطان ودفاع عن حسان بن ثابت في تهمة الجبن التي نسبت إليه، فالهمداني يكذب هذا الخبر ودليله أن أحداً ممن هاجاهم لم يعيّره بالجبن بل هو الذي عيّر غيره بالجبن. ثم يسوق أخباراً لرجال من اليمانية فخروا بقحطان بحضرة الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، منها خبر عمرو بن سلمة الهمداني مع معاوية، والهيثم بن الأسود النخعي مع عبد الملك بن مروان، وعمرو بن معد يكرب مع عمر بن الخطاب. وقد سأله عمر عن قبائل اليمن فوصف كل قبيلة بما يلائمها(٨٥).

---

(٨٤) انظر تفصيل الخبر في الإكليل ٢/ ١٩٦ وما بعدها

(٨٥) ٢ / ٢٠٠ ومابعدها.

ويمضي الهمداني في إيراد أخبار القحطانيين ومفاخرتهم خلفاء بني أمية، فيروي خبر معاوية الذي أفحمه جواب عمرو بن سلمة الهمداني وجعله يتحامى تحدّي اليمانية لئلا يسمع منهم مالا يرضيه. فلمّا عاتبه أخوه عتبة في ذلك استدعى إلى مجلسه رجلاً مغموراً رث الملابس من أهل اليمن كان ببابه، وعرّض أمامه بالقحطانية، فأجابه اليماني جواباً مفحماً، فقال لأخيه: هذا ما عرّضتمونا له. وساق الهمداني كذلك خبر الحوار الذي دار بين معاوية وشريك بن الأعور الحارثي، فقد أجابه شريك جواباً لا ذعاً ثم قال أبياتاً يفخر فيها بنفسه وأولها:

أيشتمني معاوية بن صخر وسيفي صارمٌ ومعي لساني

ثم أورد الهمداني خبر معاوية حين ولّى ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي مصر فردّه معاوية بن حُديج وهو يماني. ثم قدم على معاوية لائماً إياه لتوليته عبد الرحمن على مصر. ثم يقول الهمداني بعد إيراد هذه الأخبار: «فأما أخبار معاوية مع الأنصار فكثيرة، مثل رسالة قيس بن سعد (بن عبادة) إليه، ويعقب على هذا الحديث بقوله: «وحذفه أولى»[٨٦]. وإيراد هذه الأخبار ينمّ عن فرط عصبية الهمداني للقحطانية، وهو أمر عُرف به.

ويعود بعد ذلك إلى سرد أنساب سائر الهميسع بن حمير، وفي خلال ذلك يذكر مايحضره من أخبار ترفع من شأن اليمانية، كحديث العبّاس بن عبد الله المرهبي مع الوليد بن عبد الملك[٨٧].

وحين بلغ في سياقة الأنساب الحميرية نسب حضرموت بن تُبّع الأصغر أورد نسب شيخه الأوساني الذي روى عنه جانباً كبيراً من أنساب

---

(٨٦) ٢/ ٢١٠ وما بعدها.

(٨٧) ٢/ ٢٤٤.

حمير وأخبارها، فهو محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الأوساني. وبعد أن ذكر نسبه أورد خبراً مروياً عن أبي محمد عبد الله بن سلمان الحَلَمْلَمي ونصه: «رويت عن محمد هذا، أي الأوساني سنة ست وخمسين وثلاثمئة، وهو من عمره في ثمانين، وكتبت عنه، وقتل في سنة ستين وثلاثمئة، رحمه الله»[٨٨]. وهذا الخبر قرينة قاطعة دالّة على أن الهمداني توفي بعد سنة ستين وثلاثمئة، على ماذكرناه آنفاً. وقد أورد المؤلف خبراً آخر حول الحلملمي ولقائه الأوساني[٨٩].

وبعد أن فرغ من سرد أنساب الهميسع بن حمير أورد شجرة نسبهم[٩٠]. ثم عقد أبواباً لأمور تتصل بالأسماء الحميرية مثل: الأسماء المتفقة في البنية والمختلفة في النسب مثل يعرب بن قحطان، ويعرب بن جيدان، والأسماء المتقاربة في نطقها نحو: سَدَد وجدَد. والأسماء المتخالفة في البنية نحو: خمر وحمر، والأسماء التي تختلف في النقط مع اتفاق البنية نحو: يحضب ويحصب. ونحو ذلك من ألوان الاختلاف والاتفاق في أسماء القبائل[٩١]. وهذه الأبواب تفيدنا في تحقيق أسماء القبائل والبطون الحميرية.

وفي نهاية الكتاب يعتذر المحقق من عدم إثبات القصيدة الدامغة التي يفخر فيها الهمداني بقحطان لأنه بدا له أن يفردها بنشرة مستقلة.

مصادر الهمداني في هذين الجزأين ونهجه

ألف الهمداني كتاب الإكليل، أو فرغ من تأليفه، سنة ثلاثين وثلاثمئة

---

(٨٨) ٢ / ٣٣٢.

(٨٩) الإكليل ٢ / ٢٦٨.

(٩٠) ٢ / ٣٤٨.

(٩١) ٢ / ٣٦١ وما بعدها.

للهجرة، وفق ماذكره في الجزء الثاني من الكتاب[٩٢].

في القسم الأول من الكتاب الذي تحدث فيه الهمداني عن خلق آدم ومن تناسل منه وأخبار الأمم القديمة وأنساب الأنبياء والعرب القدماء، وبدء الخلق وعمر الدنيا، كان جلّ اعتماده على محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١ هـ) في سيرته.

ومن المعلوم أن في سيرة ابن إسحاق أساطير وأخباراً لا يُطمأن إلى صحتها، ولكن الهمداني ينقلها دون أن يعلن شكه فيها وكأنها حقائق تاريخية.

وأخذ الهمداني في هذا القسم أيضاً عن علماء آخرين: منهم أبو معشر جعفر بن محمد البلخي الفلكي[٩٣]. وروى طائفة من الأخبار عن ابن عباس ولكنه لم يذكر سندها، وممن أخذ عنهم هشام بن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ). وكذلك أخذ عن رجل اسمه قحطان بن عابر الخزاعي وترجمته مجهولة[٩٤].

أما في موضوع الكتاب الرئيس، وهو أنساب حمير، فكان جلّ اعتماده على أبي نصر محمد بن عبد الله بن سعد اليعفري الحميري، المشهور بأبي نصر الحنبصي[٩٥]، وقد صرح بأخذه عنه فقال بعد أن أثنى عليه ثناءً كثيراً: «فما أخذته عنه ما أثبته في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدّة الأذواء وبعض ما يتبع من أمثال حمير وحكمها»[٩٦]. على أنه أخذ هذه الأنساب من مصادر أخرى منها سجلّ خولان وحمير القديم بصعدة، وهو سجلّ محمد بن أبان

(٩٢) انظر ٢ / ٨٢.

(٩٣) أبو معشر الفلكي عالم مشهور، كان في أول أمره من أصحاب الحديث ثم انصرف إلى علم النجوم والأفلاك، وكان من أعلم الناس بتاريخ الفرس، له تصانيف كثيرة في الفلك وغيره. توفي سنة ٢٧٢هـ.

(٩٤) انظر ١ / ١٧١ - ١٧٣.

(٩٥) الحنبصي: نسبة إلى قصر جاهلي رائع البنيان يعرف بقصر ذي بهر بموضع بيت حنبص القريب من صنعاء.

(٩٦) الإكليل ١/ ٨٩.

الحنفري، أحد أقيال حمير في الإسلام، وكان معاصراً لمعن بن زائدة. وقد توارثته قبيلة خولان منذ الجاهلية واحتفظت به، فوقف عليه الهمداني واستمدّ منه كثيراً مما أورده من أنساب حمير وأخبارها[٩٧]. وأخذ كذلك عن طائفة من علماء اليمن وعن أسلافه وآبائه، وهو يصرّح بذلك فيقول بعد ذكره أبا نصر الحميري: «إلاّ ما أخذته عن رجال حمير وكهلان وسجل خولان القديم بصعدة، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان»[٩٨].

وقد ذكر أسماء طائفة من العلماء الذين أخذ عنهم، منهم محمد بن أحمد الأوساني الحضرمي، وكان قارئاً للمساند الحميرية[٩٩]، وقد تقدم ذكره، وأخذ عن أشخاص آخرين أخباراً وأنساباً منهم: أبو مالك الصُباحي، وعمرو بن زيد الغالبي، والمسلّم بن عبّاد، وعبد الملك بن يغنم، وابن أبي الجعد الجماعي، وأبو الهيذام، ومحمد بن أحمد الفهبي (أو القيهمي) السمسار، وأحمد بن إبراهيم الزعبلي، وإبراهيم بن عبد الحميد الشمري[١٠٠]، كما أخذ عن عالم لم يذكر اسمه وإنما كان يدعوه الأبرهي[١٠١]. كذلك أخذ عن آخرين لم يذكر أسماءهم.

فكذلك نرى أنه أخذ أنساب حمير عن طائفة كبيرة من العلماء والنسّابين، وعن مساند حمير وسجلّ خولان. وكان الهمداني يقرأ المساند ويأخذ منها[١٠٢].

أما نهجه في سرد الأنساب فيقوم على ذكر الأب ثم يذكر أبناءه بعده، وهو يجري على الجملة الفعلية فيذكر فعل (أولدَ) أو (ولد) ويتبعه بالأولاد، نحو قوله:

---

(٩٧) انظر مثلاً ١ /٢٦٩، ٢٧٥، ٢ / ٣٠.

(٩٨) ١ / ٨٩.

(٩٩) انظر ٢ / ٢٣.

(١٠٠) انظر على الترتيب ١/ ٢٧٥، ١/ ٢٧٨، ١/ ٣٢٠، ١/ ٣٨٨، ١/ ٤٤٨، ٢/ ٧٥، ٢/ ٧٦، ٢/ ٨٦، ٢/ ١٩٦.

(١٠١) انظر ٢ / ٢٣٣.

(١٠٢) انظر ٢ / ١٠٦، ١٠ / ١٨.

وأولد سعدُ بن ناعمة جعشمَ الخير، فولدَ جعشمُ الخير شرُحبيل بن جعشم [١٠٣].

وقد وضّح جانباً من نهجه في نهاية الجزء الثاني من الكتاب فقال: «فمن نظر في هذا الكتاب فليعمل من الأسماء على ما وضعناه في صدره وفي عجزه من النسب وما قيدّناه وحصرناه، إلاّ مالم نجد إلى تلافي ما قصر منه سبيلاً في نسب خولان وهمدان، ومن الأخبار والسير على ما صححناه ووسمناه في تضاعيف الإكليل بالصحة، إلاّ ما اختُلف فيه، فقد نبّهنا عليه وأشرنا إليه، أو ما شذّ فلم يعرفه إلا الواحد والاثنان من أهل اليمن، دون الجماعة، فقد أهملناه ورفضناه».

وكتابه لا يقتصر على الأنساب بل يشتمل إلى ذلك على أخبار وأشعار كثيرة لشعراء عدنانيين ويمنيين، وتشغل الأشعار في كتابه حيّزاً يكاد يوازي نصف الكتاب.

ويشتمل الكتاب كذلك على نظرات نحوية ولغوية وأدبية، فهو يفرّق مثلاً بين معنى لفظي الظلّ والفيء [١٠٤]. وفيه تحقيق لبعض الأحداث التاريخية، من ذلك مثلاً إنكاره وقوع حرب بين حمير وقريش [١٠٥]. وكان ربما خطأ النسّابين في سردهم لبعض الأنساب [١٠٦].

وقيمة هذين الجزأين تكمن في أنهما أوسع مصدر للأنساب الحميرية، وفي اشتمالهما على أشعار وأخبار قد لا نجدها في مصادر أخرى.

* * *

للبحث صلة

---

(١٠٣) ٢ / ٣٦.

(١٠٤) الكتاب ٢ / ٦٨.

(١٠٥) انظر ٢ / ٣٢٣.

(١٠٦) انظر مثلاً ٢/ ٢٨٧.

الحسن بن أحمد الهمداني

وكتابه الإكليل

الدكتور : إحسان النص

- ٣ -

الجزء الثامن

مخطوطاته وطبعاته

هذا الجزء كان أوفر حظاً من أجزاء الإكليل الأخرى، فقد وصلتنا منه نسخ خطية ومصورات كثيرة موزعة في مكتبات العالم، أثبت بعضها الأستاذ نبيه فارس محقق هذا الجزء وهي:

١ ـ أربع نسخ في مكتبة برلين.

٢ ـ ثلاث نسخ في المتحف البريطاني بلندن.

٣ ـ نسخة في مكتبة پاريس الوطنية.

٤ ـ نسخة في ميلانو.

٥ ـ ثلاث نسخ في مكتبة الفاتيكان.

٦ ـ نسخة في ستراسبورغ.

٧ ـ نسختان في استامبول، الأولى في مكتبة دار الفنون، والثانية في مكتبة علي أميري أفندي.

٨ ـ نسخة في مكتبة پرنستون.

٩ - نسخة مصورة في القاهرة [١٠٧].

وذكر الأب أنستاس الكرملي في مقدمة تحقيقه لهذا الجزء أنه اعتمد على نسخة كتبت سنة ٥٤٩ هـ، وعلى نسخة أخرى اشتراها في الكاظمية (العراق).

وقد طبع الجزء الثامن مرتين: أولاهما بتحقيق الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م. معتمداً على أربع نسخ خطية، وقد أخذ الأستاذ فارس على الكرملي أنه أهمل ضبط الأسماء وتعيين الأماكن ولم يذكر المراجع القديمة التي استفاد منها.

والثانية بتحقيق الأستاذ نبيه أمين فارس، نشرها بجامعة برنستن بالولايات المتحدة ثم نشرتها بدون تاريخ، مكتبتا دار الكلمة بصنعاء ودار العودة ببيروت، وطبع في بيروت. وقد اعتمد على أربع نسخ خطية هي:

١ - مخطوطة المتحف البريطاني (or. 1382)، وقد كتبت في حصن رداع في شهر رمضان سنة ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦م. بيد حسين بن أحمد بن صالح النصير الطاهر.

٢ - مخطوطة برلين (١) (or.138)، وقد كتبت في شعبان سنة ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م.

٣ - مخطوطة برلين (٢) (or. 382) تاريخ نسخها مجهول.

٤ - مخطوطة برنستن (or. 206)، كتبت في ذي القعدة سنة

(١٠٧) انظر مقدمة الجزء الثامن من الإكليل تحقيق نبيه أمين فارس؛ والمجلد العاشر من مجلة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٠؛ وتاريخ الأدب العربي المترجم لبروكلمان ٤/ ٢٤٩، ودائرة المعارف الإسلامية. الطبعة الحديثة، بقلم لوفغرن löfgren

١١١٧ هـ / ١٧٠٦ م بيد محمد بن أحمد بن صالح النصير الطاهر.

وكان الأستاذ فيليب حتي قد عثر على هذه المخطوطة سنة ١٩٢٥ بين مخطوطات مراد بك البارودي في برنستن، فدفعها إلى الأستاذ فارس وكلفه تحقيقها ونشرها بعد معارضتها بطبعة الكرملي، ففعل ذلك ثم قام بترجمتها إلى الإنكليزية ونشرها بجامعة برنستن عام ١٩٣٨.

وقد استظهر الأستاذ فارس، بعد اطلاعه على مخطوطات هذا الجزء أن أكثرها يرجع إلى أصل واحد، ويلاحظ أن مخطوطتي المتحف البريطاني وبرنستن كتبهما أخوان هما: حسين ومحمد ابنا أحمد بن صالح.

وقد قام الأستاذ فارس بمقابلة نسخته بنسخة الأب الكرملي وأثبت مارأى أنه الأصوب.

ومما يلفت النظر أن جميع هذه المخطوطات نسخت في زمن متأخر، باستثناء النسخة التي جعلها الكرملي النسخة الأم فتاريخ نسخها المئة السادسة للهجرة.

وقد نشرت مقتطفات من هذا الجزء، وأول من قام بذلك المستشرق مولر Müller، فقد نشر جانباً منه مستلاً من مخطوطة المتحف البريطاني مع ترجمة ألمانية سنة ١٨٧٩م.

ومعوّلنا في دراسة هذا الجزء على الطبعة التي حققها الأستاذ نبيه أمين فارس.

موضوعاته

موضوعات هذا الجزء تدور حول قصور اليمن المشهورة ومدنها ومساند حمير والقبوريات والمراثي والوصايا.

بدأ بصنعاء فذكر القصر المشهور فيها وهو قصر غُمدان، فذكر أن الذي بناه هو سام بن نوح، ووصف القصر ثم تحدث عن صنعاء فذكر موضعها ووصفها وتحدث عن طباع أهلها وعاداتهم وعن جوّها وثمارها. وهو يربط بين طباع أهلها وبين طالعها، فأكثر أهلها يتحلّون بطباع الزهرة والمرّيخ. ثم أورد بعض ما قاله الشعراء في نعتها، ثم ينسب إلى عثمان بن عفان أنه أخرب قصر غمدان، وذكر ياقوت في معجم البلدان (مادة غمدان) مثل ذلك. والخبر عار عن الصحة، فليس ثمة مايدعو عثمان إلى هدم هذا القصر الرائع البناء، والصحيح أن الذي هدمه هو أرياط الحبشي لدى استيلائه على بلاد اليمن(١٠٨).

ثم نقض الهمداني ما ذكره أولاً من أن سام بن نوح هو الذي بنى قصر غمدان فذكر أن الذي بناه هو إلي شرح يحضب(١٠٩).

ورواية ثالثة في بناء قصر غمدان وهدمه، فيذكر الهمداني أنه أول قصر بني في اليمن، وأنهم وجدوا فيه حجراً كتب فيه بالمسند: بناه غمدان. وذكر أن الرسول عليه السلام أرسل فروة بن مُسيك ليهدمه فلم يقدر على ذلك حتى أحرقه. وأن ذلك كان عند وفاة الرسول ﷺ أو بعد وفاته حين قام فروة بن مسيك بقتل الأسود العنسي الذي ادّعى النبوة، وكان الأسود معتصماً بقصر غمدان، فقتل الأسود في السنة التي توفي فيها رسول الله(١١٠). وليس في المصادر التاريخية المعتمدة ما يثبت أن الرسول أمر بهدم هذا القصر.

---

(١٠٨) بيان ذلك في تاريخ الطبري ٢ / ١٢٥.

(١٠٩) الإكليل ٨ / ١٩.

(١١٠) الكتاب ص ٢١.

ثم ينتقل الهمداني إلى مدينة ظفار المعروفة بحقل يحضب، فذكر قصورها: قصر ذي يزن، وقصر ريْدان. وقصر شوحطان، ويذكر ماروي عن محمد بن خالد من أن سليمان بن داود بعث مع بلقيس ملكة سبأ، وهي ابنة إلي شرح، شياطين فبنوا لها الحصون. وهذا الخبر لا يحققه الهمداني وأولو التمييز من أهل اليمن. ثم يصف مدينة ظفار وأبوابها وما قيل فيها من الشعر(١١١).

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن معادن الجزع(١١٢) باليمن وأوصافه، وينقل عن بطليموس وصفاً لموقع ظفار.

ويتحدث بعد ذلك عن إرم ذات العماد، وأنها في تيه أَبْيَن، ولكن لم يرها أحد إلا رجل زعم أنه رآها فوصفها لمعاوية. ويذكر الهمداني قولاً آخر في موضع إرم وأنها موضع جيرون في دمشق(١١٣).

ثم يذكر مصنعة(١١٤) ناعط وقصورها. وقد شاهد الهمداني بقايا مآثر اليمن وقصورها، سوى غمدان فإنه لم يبق منه سوى قطعة في أسفل جدار. وهذا ينبئنا أن قصر غمدان كانت آثاره قد اندثرت في زمن الهمداني.

---

(١١١) ص ٢٣ وما بعدها.

(١١٢) الجزع بفتح الجيم وكسرها، هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين، قال امرؤ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحُلنا الجزع الذي لم يُثقَّب

(لسان العرب)

(١١٣) ص ٣٣ وما بعدها.

(١١٤) المصنعة: تطلق على القرية والحصن والقصر. وهي المحل الحصين المنيع الذي يحتمي به. (جواد علي ٨/ ٤٨)

ومن قصور ناعط قصر المملكة الكبير يعرق، وقصر ذي لعوة المكعَّب. ويورد الهمداني قصيدة له في ناعط، وشعراً لعلقمة بن ذي جدَن، وفي هذا الجزء يتردد كثيراً شعر علقمة هذا، ويروي كذلك شعراً لأبي نواس والمرقّش، ويذكر شيئاً من عجائب ناعط ومنها أنه لا يلدغ فيها حيوان.

ثم يذكر مأرب مسكن سبأ، ويصف ماراه من بقايا السد، ومن قصورها سَلحين والهجرَ والقشيب. وهنا أيضاً نجد للهمداني شعراً مقولاً في مأرب وسدِّها.

ويذكر بعد ذلك على التوالي مواضع ينون ودامغ وضَهْر ورِئام. وكان رئام متنسكاً تحجّ إليه همدان.

وفي سياق ذكره لمواضع اليمن يذكر مساجدها، ثم يعود إلى المدن والقصور فيذكر: غَيمان ومصنعة وحاظة ومدينة صرواح التي كانت من أعظم مدن اليمن ثم اندثرت معالمها، وللشعراء شعر كثير فيها، وشبام سُخيم، وشبام بيت أقيان والنجير، وموكل، وهكر، وغيرها[١١٥].

ثم يتحدث عن حضرموت ومحافدها[١١٦]: دموّن لحمير، والنُجير لبني معد يكرب، وشبوة، وتَريم، ورَوْثان، والشحر، وغيرها.

ويستمر في تعداد قصور اليمن حتى يبلغ قصر تلقم بمدينة ريدة، ثم يعرّج على مدينة ريدة فيصفها ويذكر أن سكانها من بكيل بن همدان.

---

(١١٥) ص ٣٤ - ٩٨.

(١١٦) ليس في المعاجم ما يوضح المقصود من لفظ المحافد هنا، وفي القاموس: المحفد: بلدة باليمن، ويستخلص من كلام الهمداني أنها المدن والقصور، فالمحافد التي ذكرها هي من اليمن كدموّن وشبوة وتريم. ويذكر من محافد همدان قصور الشحر.

ويعود مرة أخرى إلى ذكر قصور اليمن ومدنها ومحافدها، ومنها براقش ومعين. ثم يذكر سدود اليمن: مأرب والخانق وريعان، ثم كنوز اليمن ودفائنها، ثم الجبال المقدسة فيها[١١٧].

ويفرد بعدئذ فصلاً لحروف المسند ويرسم صورتها.

والباب الأخير من الكتاب ـ وهو أكبرها ـ باب القبوريات، ويريد بها القبور وما وجد داخلها. وفي سياقها حديث عن موضع قبر هود بالأحقاف. وأكثر ما في هذا الباب مروي عن ابن الكلبي هشام بن محمد. ومن القبور التي يذكرها قبر قضاعة بن مالك بن حمير، وقد كتب فيه بالمسند: أناقضاعة بن مالك بن حمير الخ... وهذا الخبر يراد منه تأكيد انتساب قضاعة إلى حمير، وهو ظاهر الافتعال.

ويسوق الهمداني أخباراً، جلّها عن ابن الكلبي، تتصل بقبور أخرى غير قبور اليمن، منها قبر طالوت، وقبر قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

ثم يفرد باباً لما حفظ من مراثي رجال حمير ووصاياهم، ومنها وصايا لهود ولقحطان بن هود مع إيراد شعر له، ومرثية لحمير في جدّه سبأ بن يشجب.

ويعود بعد ذلك إلى القبور فيذكر منها قبر شدّاد بن عاد الحميري الذي بنى إرم ذات العماد، وقبر لقمان بن عاد إلى جوار قبر هود، وقبر الصعب ذي القرنين. ويتخلل كلامه عن القبور طائفة من المراثي، ومنها مرثية للقلمّس بن عمرو أفعى نجران في سليمان بن داود. ومن القبور قبر بلقيس، والملك مالك ناشر النعم، تلي ذلك طائفة من المراثي والوصايا[١١٨].

---

(١١٧) ص ٩٠ ـ ١٢١.

(١١٨) الكتاب ص ١٢٢ ـ ٢٢٧.

وبهذا يتم الكتاب.

فالموضوع الرئيس في هذا الجزء هو القبوريات، بالإضافة إلى أخبار متفرقة حول ملوك اليمن القدامى والأنبياء، ومدن اليمن وقصورها وحصونها، يتخلل هذا الوصايا والمراثي.

مصادر هذا الجزء وقيمته

أخذ الهمداني ما أورده في هذا الجزء عن جماعة من الأخباريين والرواة منهم محمد بن أحمد القهمي (وقهم بطن من همدان) وعمرو بن إسحاق الحضرمي، وشيخ الهمداني أبو نصر الحنبصي، ومحمد بن أحمد الأوساني وأبو الغطريف مسلمة بن يوسف الخيواني، وغيرهم، كما نقل عن ابن الكلبي أكثر ما أورده في كتابه عن القبوريات، وكذلك عن وهب بن منبه وعُبيد بن شرية، وكذلك أخذ الهمداني بعض ما أورده من كتاب كلوديوس بطليموس.

وقيمة هذا الجزء أنه زوّدنا بمعارف هامة حول مدن اليمن القديمة وقصورها وآثارها ومساند حمير والقبوريات. ولكن هذا الجزء يشتمل على أساطير وأخبار كثيرة لا سند لها وهي من اختراع الأخباريين أمثال عبيد بن شرية وابن الكلبي ووهب بن منبّه، كما يحتوي أشعاراً موضوعة افتعلها الرواة على ألسنة الأنبياء والملوك القدامى، كالشعر المنسوب إلى ملوك حمير وقحطان بن هود والصعب ذي القرنين، وكل هذا لا يصح، وهو مقول بلغة عدنانية لم يعرفها أهل اليمن في عصورهم القديمة، وللهمداني في هذا الجزء شعر كثير يتصل بموضوعات الكتاب وفيه كذلك أشعار كثيرة لعلقمة بن ذي جدَنٍ، وفيه شعر كثير منسوب لقس بن ساعدة الإيادي، ولم يكن قس شاعراً ولم تكن اليمن موطنه، ومن هنا ينبغي أن ننظر بحذر شديد في

موضوعات هذا الجزء.

وقد بذل المحقق ماوسعه من الجهد في تحقيق الكتاب، وأفاد من طبعة الكرملي، وأكثر حواشيه تتصل باختلاف الروايات في المخطوطات التي اعتمدها. على أن تحقيقه وتعليقاته لا تخلو من هنات، من ذلك على سبيل المثال، تعليقه على قول الهمداني: حدّثني النخعي[119]، فهو يترجم للنخعي في الهامش فيقول إنه إبراهيم بن يزيد النخعي المتوفى سنة ٩٥ هـ، فكيف يحدّث الهمداني وبينهما أكثر من مئتي سنة؟ ويرد اسم محمد بن خالد في رواية بعض الأخبار، والمحقق يستظهر بلا دليل يقيني أنه محمد بن خالد بن عبد الله القسري، ومنها اختلاف في ضبط بعض الأسماء ففي صفحة ١٠٨ يذكر اسم مسلمة بن يوسف الخولاني ثم يذكره مرة أخرى فيجعله سَلَمة بن يوسف (١٥٤)، والصواب مسلمة، وفهارس الكتاب غير وافية.

• • •

الجزء العاشر

مخطوطاته وطبعاته

توافرت من هذا الجزء عدة نسخ خطية، منها نسخة المكتبة الوطنية بباريس، ونسخة في برلين، وأخرى في أوبسالا بالسويد، ونسخة في المتحف البريطاني[120]. ووجدت نسخ أخرى في بلاد اليمن.

حقق الكتاب وعلّق حواشيه ونشره الأستاذ محب الدين الخطيب وطبعه في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨م، وقد اعتمد في

(١١٩) الجزء الثامن ص ٢٢.

(١٢٠) انظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي المترجم ٤/٢٤٩.

تحقيقه المخطوطات الآتية:

١ - نسخة مصوّرة في دار الكتب المصرية رقمها ٥٥٢٩، وهي النسخة الأم التي اعتمدها، وهي ضمن مجموعة يبتدئ الإكليل منها بالصفحة ٣٧١، وهي تعود إلى القرن السابع الهجري، وفيها تعليقات كتب في آخرها: سطّره عبد الله المفضّل بن أمير المؤمنين المتوكّل على الله، حامداً مصلّياً سنة ٦٩٦ هـ. والمتوكل المذكور هنا هو المتوكّل الزيدي الإمام العلوي في اليمن، ولقب المتوكل لُقّب به طائفة من أئمة الزيدية في اليمن، ولعل المذكور هنا هو المطهّر بن يحيى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ.

٢ - نسخة بخط إسماعيل بن أحمد الصّديق، فرغ من نسخها سنة ١٣٥١ هـ.

٣ - نسخة بخط عبد الملك بن أحمد العمري، وفرغ من نسخها سنة ١٣٥٧ هـ، وهي منقولة عن أصل النسخة السابقة.

٤ - نسخة بخط حسين بن أحمد الفائق، مساعد حافظ المكتبة المتوكلية بجامع صنعاء، وهي منقولة كذلك عن أصل النسخة الثانية

ويتضح مما تقدم أن المحقق اعتمد نسخاً متأخرة منقولة عن أصل قديم، إلى جانب النسخة الأم.

وقد عني الأستاذ الخطيب عناية فائقة. بتحقيق هذا الجزء، وأثبت له حواشي لاختلاف الروايات وشرح بعض الألفاظ الغامضة وأسماء المواضع. ويحمد له عدم الإطالة في هذه الحواشي، وهو الأمر الذي أخذناه على الأستاذ الأكوع. ثم أثبت في آخر الكتاب فهارس وافية لموضوعات الكتاب وأسماء الأعلام والمواضع والقبائل، وهو ما فات الأستاذ الأكوع. وعلى ما

بذل من جهد أخذ عليه الأستاذ الأكوع أنه أسقط في مطبوعته فقرات لا يتم الكلام بدونها، وأنه ألصق بأبي محمد الهمداني هفوات هو منها براء(١٢١). وقد وعد بإثبات مآخذه على صنيع الأستاذ الخطيب في آخر الجزء الثاني، ثم عنّ له تحقيق الجزء العاشر ففعل ونبّه على أخطاء الأستاذ الخطيب، ولم نقف على الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ الأكوع. وكذلك نبّه الأستاذ حمد الجاسر على ما وقع في هذا الجزء من هنات في ضبط أسماء بعض القبائل وفي بعض ما أورده في حواشيه في مقال نشر له في مجلة مجمع اللغة العربية(١٢٢).

موضوعاته

أورد الهمداني في هذا الجزء أنساب كهلان بن سبأ، إتماماً للأنساب القحطانية التي بدأها بأنساب حمير. وقبيلة كهلان أضخم من قبيلة حمير وبطونها أكثر عدداً، على أن الهمداني لم يتوسع في أنساب القبائل المنحدرة من كهلان، وإنما وقف وقفة مطولة عند نسب قبيلة همدان، ففصّل القول فيها غاية التفصيل، ويكاد يكون هذا الجزء وقفا على أنسابها وأخبارها وشعرائها، وهمدان تتفرع إلى قبيلين عظيمين هما حاشد وبكيل، وقد بدأ المؤلف بأنساب حاشد، وهو كعادته يذكر الأنساب تتخللها الأخبار والأشعار. ومن أخباره أنه كان في محفد رئام بيت يحج إليه في الجاهلية وبه آثار عجيبة(١٢٣).

وفي سياقة الأنساب يذكر ملوك همدان ورجالها البارزين ومنهم

---

(١٢١) انظر ص ٢٨ من الجزء الأول.

(١٢٢) مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٢٥، الجزء الأول. سنة ١٩٥٠م.

(١٢٣) ١٠ / ١٧.

شراحيل ذو همدان.

وكانت همدان يوم صفين قد انحاز جُلّها إلى عليّ بن أبي طالب وانحاز إلى معاوية فريق منها، وكذلك شأن قبيلتي كندة وحمير، وكان رأس همدان الذي قاتل مع معاوية حمزة بن مالك(١٢٤). ويحدثنا الهمداني في سياقة نسب حاشد بن همدان أنه كان مع معاوية البَراء بن وفيد الهمداني، وكان صديقاً لعمرو بن العاص، فلمّا كان يوم صفين وسبق معاوية إلى الفرات ومنع أصحاب علي من وروده، اعترض البراء على صنيع معاوية، وقام لحاء بينه وبين عمرو بن العاص فقال شعراً يعرّض فيه بهما منه قوله:

لعَمْرُ أبي معاوية بن حرب ... وعمرو ما لأيهما وفاءُ

فلستُ بتابع دين ابن هند ... طوال الدهر ما أرسى حِراءُ

ثم لحق بعلي فقاتل معه حتى قتل(١٢٥). ولم تذكر المصادر التاريخية هذه الحادثة.

ثم أورد خبر رجل آخر من همدان هو أبو مُعيد أحمد بن حمرة بن يريم، من حاشد، وكان من شيعة عليّ في حرب صفين، فلمّا صيّر عليّ راية همدان إلى سعيد بن قيس الهمداني غضب ولحق بمعاوية. ثم ارتحل إلى اليمن، فلما قدم بُسر بن أرطاة اليمن من قبل معاوية كان معيناً له في بلد همدان، وقد أوقع بشيعة علي في بلد همدان وصنعاء، وضرب من الأبناء(١٢٦) على باب المصرع اثنتين وسبعين رقبة، فسُمي الموضع «المصرع»، فارتدت الأبناء عن التشيّع منذ

---

(١٢٤) انظر تاريخ الطبري ٤ / ٥٧٤.

(١٢٥) الإكليل ١٠ / ٦٤.

(١٢٦) الأبناء: قوم من فارس ارتهنتهم العرب باليمن بعد جلاء الفرس عنها.

ذلك اليوم. وهذه الأخبار لا ترد في المصادر التاريخية الأخرى. ويذكر الهمداني أن من نسل أبي مُعيد محمد بن الضحّاك بن العباس بن سعيد بن أبي معيد، وابنه جعفر محمد بن الضحاك كان سيّد همدان في أيام الهمداني، وهو الذي قام بنصرته لما سجن، فمدحه الهمداني بشعره، وقد ذكرنا خبره آنفاً.

ومن أخبار بني يأم من حاشد أنهم قتلوا رجلاً جباناً منهم يقال له أنيب فقيل لبني يأم: «قتلة جبانها».

ومن بني عَريب بن جُشم بن حاشد بطن حَجور، ويذكر الهمداني أنه بطن عظيم باليمن والشام والعراق يقارب نصف حاشد.

ومن أشراف حجور بالشام يحيى بن معيوف الذي دخل على الوليد ابن يزيد مع يزيد بن خالد القسري فقتلاه ثأراً بخالد بن عبد الله القسري وفي الخبر ما يبين أن من أهم أسباب قتل الوليد بن يزيد الثأر لخالد بن عبد الله القسري الذي قتله الوليد[١٢٧]. وهذا الخبر يخالف ما رواه الطبري في قتل الوليد بن يزيد[١٢٨].

ويذكر الهمداني أن معيوف بن يحيى بن معيوف كان سيد أهل الشام دهره كله، وهو الذي أنقذ هارون الرشيد، وهو يومئذ ولي عهد، يوم حصر في أرض الروم، فلمّا استخلف الرشيد ولاّه فلسطين[١٢٩].

ولـمّا فرغ الهمداني من أنساب حاشد بن همدان انتقل إلى أنساب بكيل بن همدان، فبدأ بشرح معنى بكيل فقال: معنى بكيل: زعيم، وتبكّلت بالأمر: تزعّمت به، والتبكل: التحشد والتجمع.

(١٢٧) الكتاب ١٠ / ٩٩.

(١٢٨) انظر الطبري ٧ / ٢٥٠.

(١٢٩) ١٠ / ١٠٠.

وفي سياق نسب بكيل يذكر من قام منهم بحرب خولان.

ومن الأخبار التاريخية التي يذكرها في هذا السياق أنه لم يشهد يوم مرج راهط من يمانية العراق إلاّ عيّاش بن أبي خيثمة وعبد الله بن يزيد، أبو خالد القسري. ومن الأخبار كذلك خبر أنس بن معقل الهمداني الذي نقض الحجاج بن يوسف عصاه، فلحق بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فلمّا كان يوم الجماجم جعل يدعو القوم إلى مبارزته، فلا يبرز له فارس إلا قتله، فسعى الحجاج في استمالته وإرضائه[١٣٠].

ومنها كذلك خبر الدُعام بن إبراهيم بن عبد الله الأرحبي، سيد همدان في عصره، الذي استلب الملك من آل يعفر وملك بلدهم وتأمّر بصنعاء وجبيت له اليمن إلى ساحل عدن. وهو الذي خلع طاعة أبي يعفر لأنه لطمه وقتل محمد بن الضحاك، فوقعت الحرب بين حاشد وبكيل بسببه. وبعد استيلائه على صنعاء أرسل الخليفة العباسي نجدة إلى أبي يعفر فخرج الدعام من صنعاء وحالف الإمام العلوي يحيى بن الحسين وأسلم إليه بلاد همدان[١٣١].

وفي سياق أنساب همدان يذكر الهمداني أسماء بطون همدان التي هاجرت إلى الكوفة.

وحين بلغ أنساب أدهم بن قيس بن ربيعة أثبت نسب قومه، وذكر انتقال جده داود من المراشي إلى الرحبة ثم إلى صنعاء[١٣٢].

وباستيفاء نسب بكيل بن همدان ينتهي هذا الجزء من الإكليل وهو الجزء الأخير.

---

(١٣٠) ١٠ / ١٥٣.

(١٣١) ١٠ / ١٨٠.

(١٣٢) ١٠ / ١٩٩.

• مصادر هذا الجزء وقيمته

استمدّ الهمداني مواد هذا الجزء، شأنه في الأجزاء الأخرى من أفواه النسّابين، ولا سيما نسّابي همدان، وطائفة من العلماء. وأخذ كذلك من المساند التي كان يجيد قراءتها، ومن الرجال الذين أخذ عنهم أحمد بن أبي الأغرّ الشهابي، ومحمد بن أحمد الأوساني الذي أخذ عنه كذلك أنساب حمير، وكان قارئاً للمساند. ومنهم مسلمة بن يوسف الخيواني، والحسن بن حويت المعمري، ومحمد بن عيسى العشاري. وكان يتصل بنسابي بطون همدان ويأخذ عنهم أنسابهم، فأخذ مثلاً عن نسابي اللعويين (آل ذي لعوة من بكيل) أنسابهم المسطرة في زبور قديم بخط أحمد بن موسى عالم البون في عصره.

وقيمة هذا الجزء، فضلاً عن تفصيله أنساب قبيلة همدان تفصيلاً لا نجده في مصدر آخر، بيان أسماء بطون همدان ورجالها الذين غادروا اليمن إلى العراق والشام، وإيراده أخباراً عن رجال همدان وبطونها في هذين القطرين، والأحداث التي مرّت بهم، وهذه الأخبار لا نجدها في المصادر التاريخية الأخرى.

وممّا نستفيده من هذا الجزء توجيه الهمداني الاتهام إلى نسابي العراق والشام بأنهم تعمدوا تقصير أنساب كهلان وحمير ليضاهئوا بها عدة الآباء من ولد إسماعيل، وقد امتنعت عليهم أنساب الهميسع بن حمير لأنها كانت محفوظة في خزائن حمير، وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان، فأهملوها كي لا تقاس بها أنساب سائر بطون همدان(١٣٣).

---

(١٣٣) ١٠ / ٣٠.

وفي سياقة أنساب همدان بيان لأسماء شعراء همدان وفقهائها المشهورين، ومنهم الأجدع بن مالك فارس همدان وشاعرها في عصره، والشاعر المعان بن روق، ومالك بن حريم شاعر همدان وفارسها وأحد وُصّاف الخيل المشهورين، والمجالد بن ذي مرّان الشاعر، وله خبر مع معاوية، وأعشى همدان أشهر شعراء هذه القبيلة واسمه عبد الرحمن بن الحارث، من حاشد وكان مقيماً بالعراق، ومن فقهاء همدان البارزين أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل (وقد أخذ عنه البخاري ومسلم وأصحاب الصحاح)، ومسروق بن الأجدع.

كذلك نجد في الكتاب ذكر أ لملوك همدان وأشرافها وفرسانها المشهورين، ومنهم زيد من مرب بن معد يكرب. ويذكر الهمداني أن زيداً وآله كانوا يحملون على الأكف، وأن حرباً وقعت بين زيد وقومه من جانب وبين قبيلة تغلب وسائر ربيعة وعليها ربيعة بن الحارث، أبو كليب ومهلهل، فانتصر زيد عليهم. ومنهم سعيد بن قيس بن زيد الحاشدي، وكان صاحب همدان بالعراق ومختصّاً بعلي بن أبي طالب، وكان أحد الدهاة المشهورين. ومن رؤساء همدان كذلك قيس بن سيّار بن معاوية، وعبد العزيز بن العباس الذي أبلى بلاءً عظيماً في قتال الضحّاك الحروري، وأبو خيثمة بن عبد الله الذي أبلى في القتال يوم القادسية وقتل في موقعة مع الخزر، وأنس بن معقل المرهبي الهمداني، ومنهم عبد الله بن عيّاش، وكان من مسامري المنصور العباسي، وكان له فضل ثني المنصور عن الإيقاع بأهل البصرة لمناصرتهم إبراهيم بن عبد الله. ومن فرسان همدان في اليمن مالك بن مُلالة بن أرحب سيد همدان في عصره وفارسها، وهو الذي تولى حرب خولان وقضاعة اليمن.

ويلقي هذا الجزء بعض الأضواء على حياة الهمداني، ومن ذلك أنه كانت له دار بحرّة نجد وكان له نخل ووطن هناك[١٣٤].

والكتاب يحوي أشعاراً كثيرة لشعراء همدان وغيرهم. فكذلك نرى أن هذا الجزء مرجع تاريخي وأدبي عظيم الفائدة.

• • •

(١٣٤) ١٠ / ١٩٦.

المصادر

- الإكليل، الجزآن الأول والثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع - بغداد ١٩٧٧.

- الإكليل، الجزء الثامن، تحقيق نبيه أمين فارس - دار العودة بيروت.

- الإكليل، الجزء العاشر، تحقيق محب الدين الخطيب - القاهرة ١٩٤٨.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٠.

- بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٤.

- تاريخ الأدب العربي (المترجم) بروكلمان، الجزء الرابع - القاهرة ١٩٧٥.

- تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٠ وما بعدها.

- جمهرة الأنساب. ابن حزم. تح. عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٢

- صفة جزيرة العرب، الحسن الهمداني، تح محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي١٩٥٣.

- طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، تحقيق حياة العبد بوعلوان بيروت ١٩٨٥.

- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، بإشراف الدكتور أحمد فريد الرفاعي. الجزء السابع - القاهرة ١٩٣٦ ومابعدها.

- مجلة مجمع اللغة العربية، مقالة للأستاذ شكيب أرسلان، المجلد ١٠ سنة ١٩٣٠.

- مجلة مجمع اللغة العربية، بحث بقلم أحمد الجاسر، المجلد ٢٥ الجزء الأول ١٩٥٠م.

- نسب معد واليمن الكبير، هشام بن محمد الكلبي، تحقيق محمود العظم - دمشق ١٩٨٨م.